سلسلة أضواء كاشفة (٥)

لماذا الإعلام ..؟

محمد السيد

لماذا الإعلام.. ؟

الطبعة الاولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2014/5/2323)

215.3
السيد، محمد حمدان
لماذا الإعلام..؟/ محمد حمدان السيد._ عمان: دار المأمون للنشر والتوزيع، ٢٠١٤.
(١٨٧) ص
ر.أ: (٢٣٢٣/ ٥/ ٢٠١٤).
الواصفات: / الإعلام الإسلامي / / الإسلام/

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائـــرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ردمك ISBN 978 – 995 - 77 – 328 - 1

حقوق الطبع محفوظة

جميع الحقوق محفوظة: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق.

دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail : daralmamoun2005@hotmail.com

سلسلة أضواء كاشفة (٥)

لماذا الإعلام.. ؟

محمد السيد

دار المأمون للنشر والتوزيع

محتويات الكتاب

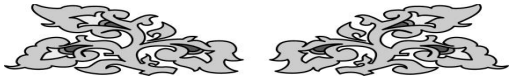

المبحث الأول

تحت المجهر وفيه البنود التالية:

١- الكلمة الفاسدة والمآل..... ١١
٢- قراءات خاطئة..... ١٤
٣- تحت المجهر..... ١٨
٤- عصابة إرهاب..... ٢٢
٥- مهنية تضج بروائح الكيد..... ٢٦
٦- الإعلام والعنف..... ٣١

المبحث الثاني

الإعلام وتزييف الوعي. وفيه البنود التالية:

١- قذيفة الحق..... ٣٧
٢- ما زال في القوس منزع..... ٤٠
٣- الإعلام والصدق والعدل وتزييف الوعي..... ٤٤
٤- مع الحوار الصادق..... ٥٠
٥- مضمون إعلامي غربي هجومي ومقترحات..... ٥٤
٦- الشعار والحقيقة..... ٦١

المبحث الثالث

نصائح وتوجهات للإعلام الإسلامي. وفيه البنود التالية :

١- الصبر عدة الدعاة والإعلاميين ٦٧
٢- الإعلام والنصيحة ٧١
٣- لو تحول الموهوبون إلى إعلاميين إسلاميين ٧٥
٤- التلفاز والطفل ٨٧
٥- الحاجة الماسة إلى رجل كالإمام البنا ٨١
٦- إشارات سلوكية وفكرية ٨٤
٧- الخطاب الإعلامي الإسلامي ورضى الآخر ٨٧
٨- لماذا الإعلام ٩٥
٩- الرد على حملة إعلامية غير قويمة ٩٩
١٠- التجمع لنصرة الحق والحقيقة ١٠٢
١١- لنكن شركاء ١٠٥

المبحث الرابع

الإعلام الإسلامي وعدد من البنود المطلوبة منه :

١- أن يكون فاعلاً ١١١
٢- أن يحذر العولمة المتوحشة ١١٣
٣- أن ينقذ الإنسان من أو حال الهوان ١١٦
٤- الاستثمار في الحقل الإعلامي ١٢٠
٥- بين التعبوية والفرقة ١٢٣
٦- خطاب لا يثير الإحن ١٢٧

٧- أن يغير على التركيبة النفسية للمتلقي ١٣٠
٨- يدعو إلى وعي الإنسان بغاية وجوده..... ١٣٣
٩- وفتحت كوة إعلامية..... ١٣٨
١٠- يثبت مقولة في الإسلام: الإنسان كائن حضاري ١٤٢

المبحث الخامس

من سمات البث الإعلامي المعاصر:

١- إعلام كالسحر..... ١٤٧
٢- وإعلام فرض الأمر الواقع..... ١٥٢
٣- والعوج والبث الفضائي المنحرف..... ١٥٥
٤- طغيان في الوسائل.. كيف؟ وإلى أين؟ ١٥٨
٥- وعداوة لثقافة الإسلام..... ١٦١
٦- لماذا يلحون في السؤال: أين الخطاب الإسلامي؟..... ١٦٦
٧- إعلام بواجهة واحدة... لماذا..؟ ١٧١
٨- هذه الحيادية المزعومة..! ١٧٥
٩- عبرة ديمقراطية إسلامية تفيد إعلام العصر..... ١٧٨
١٠- وإعلام يقف في وجه الصحوة بحماقة وغيظ..... ١٨٢
١١- وإعلام عبثي..... ١٨٥

المبحث الأول

الكلمة الفاسدة والمآل

١ - الكلمة الفاسدة والمآل

٢ - قراءات خاطئة

٣ - تحت المجهر...!

٤ - عصابة إرهاب

٥ - مهنية تضج بروائح الكيد

٦ - الإعلام والعنف

١- الكلمة الفاسدة والمآل

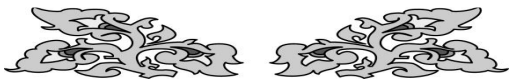

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور: ١٩]هذه حقيقة تثبتها الآية القرآنية الكريمة، وهي حقيقة قديمة جديدة، تقول: إن هناك فاسدين من آدميين، يحاولون منذ وجد الإنسان أن يروجوا الفاحشة، ويزينوا لها المنافذ، من خلال صناعة إعلامية، تمتلك إمكانات هائلة في الاختراق، خصوصاً في مجال ترويج الشخصيات الفاسدة، وتزويق وتزيين أعمالهم، ومتابعة حركاتهم وسكناتهم، ومن ثم فتح باب الشهرة والحضور الإعلامي الدائم المزخرف لهم، بحيث يصبح هؤلاء ملء السمع والبصر، وبحيث تصبح أعمالهم الشاذة المتسمة بالخيانة والخنا والميوعة صوراً عادية حية، تلاحق وتداعب مخيلات الكثير من أبناء العصر، المشرعة أبوابهم ونوافذهم على الإعلام العالمي والمحلي والإقليمي والشبكة العنكبوتية، بدون أن يكون لهم ستر أو حصن من دين أو خلق أو علم.

والمرء إذا أراد أمثلة أو براهين على هذا السيل الإعلامي الذي تضخه مؤسسات عملاقة، يختبئ خلفها «حيتان» ضخمة؛ من أهل الأهواء والمفاسد، وأهل السياسات الشاذة من صهيونية وغيرها، وأصحاب النفوس المريضة المرّة، التي لا يرضيها إلا أن يتحول العالم كله إلى ما يبغونه من خراب أخلاقي وقيمي، يمارسون فيه دور القيادة والريادة.

إن المرء إذا أراد أمثلة على ذلك كله، فلن تعجزه الحيلة، فالأمور مبذولة

ومزجاة؛ في الصحافة والإعلان على الورق وفي الشبكة العالمية (الإلكترونية) وفي القنوات الفضائية، وكلها - إلا من رحم ربي من الصحافة التي ما زالت متماسكة يحميها نهج إسلامي أو أخلاقي- تلهث خلف خبر الإثارة وصورة الإثارة وإبراز أهل الإثارة ومعاني خياناتهم الجنسية والخلقية وأعمال العنف وتمجيد أبطالها، على أنها سلوكيات طبيعية، يجب أن تترسخ، ويقتدى بها.

ولذلك فهي تتابع أحداث مغامرات أميرة الغرامية والجنسية مع أحد الأثرياء، وتلصق بها صورة مشرقة عن تحركاتها في العمل الخيري، ليتأكد في ذهن القارئ أو السامع أو المشاهد أن الأمرين يشكلان سلوكاً إنسانياً طبيعياً لا غبار عليه في جميع الحالات، ولقد كان الاحتفاء الكبير في الإعلام العالمي لمقتل «جياني فرساتشي» المصمم العالمي للأزياء، الذي اشتهر بالشذوذ احتفاءً كبيراً سائراً على قدم تلك الأهداف الخبيثة، التي تريد لكل المعاني الهدامة التي تتربع على عرش العصر وتأخذ بتلابيبه أن تعلو وتسود، وبالتالي ليكون للمفسدين في الأرض من الفاسدين ودهاقنة الهيمنة كل الحق في سيادة الأرض الشاذة التي صنعوها على أعينهم..

ولكن الله بالمرصاد لهؤلاء، ولن يفوزوا بها أبداً وإن حققوا العديد من صور النجاح الآنية، فعذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة بانتظارهم. ومن ثم فالإعلام الإسلامي مدعو إلى التركيز على قدر الله هذا وتبليغه وتركيزه في النفوس، حتى يتبين المصلح من المفسد، ولتكن قصة قارون القرآنية عبرة، فهو في مهرجانه ودعاياته العملية والنظرية استطاع جمع جمهور من الناس حوله، فأصبحوا يتمنون مكانه، وأن يحظوا بما حظي به من مال وجاه ودعاية وخبر يذاع عن مهرجاناته الماجنة الإدعائية فهل سلم له الأمر؟ وهل تركه الله عز وجل مستمراً في خروجه على قومه متبرجاً مزهواً بما أعطاه الله، مستدرجاً له، لعلمه بفساد طوية هذا الرجل

المتعالي الذي ادعى أن ما عنده من مال وجاه وأتباع ودعاية وإعلام، يخدم بها جميعاً منهاج فرعون الطاغية، ويثبت بها أقدامه عنده، ويجمع الناس بها من حوله.

وذلك بزعمه: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨] فهو في ذلك شبيه بإعلاميي اليوم وغناهم وشهرتهم.. فهم يقولون: إن الفهلوة والشطارة والدخول مع الظالمين في مسرحية الإفساد والفساد التي يديرونها في العالم هي التي أعطتهم كل شيء..

فلتكن قصة قارون عبرة لمن يعتبر أو لمن كان له قلب وسمع وهو شهيد، لأن النهاية معروفة؛ فبعد أن مدّ الله لقارون واستدرجه إلى ساحة المصير الأليم، خسف به وبداره وماله الأرض، ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ ....﴾ [القصص: ٨٢].

لذا فإن الأمثلة التي أوردناها تدعو إلى العمل الجاد للإعلامي الإسلامي وللثري الإسلامي.. وذلك ليمدّ الأول باعه المتقنة للدور والمهنة من أجل رد كيد الكائدين للإنسان في هذا العصر، وكذلك ليقدم الثاني البذل في الاستثمار في باب الإعلام القوي الفاعل الذي يذبُّ عن قيم الإسلام، ناصحاً للإنسان وللحياة النظيفة الآمنة.

٢- قراءات خاطئة

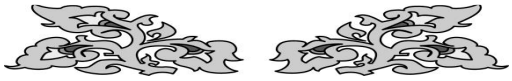

ونتابع البيان للكلمة الفاسدة ومآل أصحابها، فنلجأ إلى ما قاله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ [النساء: ١٧٦] ثم لنفصل في القول بهذا الشأن:

١- مقدمة:

القائمُ على ثغرةٍ من ثغر هذه الأمة إعلامياً كان أو صحفياً أو سياسياً، تلتفُّ حول عنقه أمانة النصح المبين، فلا ينبغي له أن يلعب بالعقول، ويتاجر بالفهوم، ويذهب بعيداً بالخواصر الرخوة، ليضمها إلى التحليل العقيم للأحداث، وليغلّف أبعادها بفيافي الفكر الموحش، ثم هو يضيق ذرعاً بالنصيحة العلنية، لأنه قائم على خط سير غير سديد.

إنَّ من يفعل ذلك بأمته يرتكب الضغينة المدفوعة الثمن، وهذا الثمن يمثل الأشياء الرخيصة في هذه الدنيا، لأنها تُغيّب الشموس خلف الأطماع الدنيئة، وتجفف الينابيع الثرة كيما يسفّ الناس التراب، ويلتهم الفاعل الجثث النتنة، مستقبلاً آمالاً غامضة، تسكن أجساداً معتمة وقلوباً واجفة، ترعد بمراودات التبعية الضالة، وويلك أيهذا الفاعل.. فمن ذا الذي يستطيع أن يقف لقول ربه: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] ولا يخرُّ صعقاً، إن كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان؛ فإن لم يكن لديه ذلك المثقال فهو لا يغادر الحُفَر أبداً ليعلو وجه الأرض، بل

هو ممن وصفهم رب العزة بقوله:﴿.. وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[البقرة: ٢٧]. أو ممن وصفهم رسول الله ﷺ بقوله: «إنَّ أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان» رواه أبو يعلى وهو صحيح. إنَّ الأمانة التي تطوق عنق كل قائمٍ على ثغر- وأخصُّ بالذكر هنا من هو قائم على ثغر الفكر والثقافة والإعلام- هي حلية غالية، لا تستطيع شرفة من شرفات بلادنا أن تتحاشاها. فإن لم يستطع حامل هذه الأمانة إلا أن يقول، فليأتمر بأمر المعصوم ﷺ، إذ قال: «مَن كانَ يُؤمِنُ بالله واليوم الآخر فَلْيَقُل خيراً أو لِيَصمت» متفق عليه.

كلُّ السطور الآنفة هي تقدمة بين يدي الآتي من الكلمات:

٢- تاصيل:

فيا لهذا الذي تطوق عنقه الأمانة الفكرية الثقافية الإعلامية، ثم يحمل سكيناً غادراً، فيثير لججاً من الإجرام بحق الحقيقة، مع أنه لا يملك إلا مجزرة كذبٍ ونفاق، ولربما التبعية والتقليد الأعمى. فها هو كليلٌ معتمٌ يَنْقَضُّ على الضياء، يحاول طمس معالم الرؤية السديدة؛ إذ يبحث عن أسباب ومسوغات واهية للتهوين من الصحوة الإسلامية في العالم، فتارة يعيد الأمر إلى الفقر والبطالة، فإذا وجد أن الأتباع والناهضين فيهم الأثرياء الأتقياء، أعجزه المشهد، فيتحول إلى القول المتهافت: إنَّ ضعف الاتجاه الآخر هو السبب، أو أنَّ الحكام يمالئون ويدعمون (أجندة) هذا النهوض الإسلامي مباشرة، أو عن طريق محاصرتهم للاتجاهات الأخرى بالديكتاتورية والقمع، فإذا أعيته الحيلة، ووجد أنَّ تيار النهوض الإسلامي لم يستقبل في الساحة إلا بتيارات قومية ويسارية وليبرالية مدعومة محلياً ودولياً، ومدججة بوسائل إعلامية ومؤسسات ثقافية أُمِّمت لحسابهم، وجُهِّزت بالمال

والعتاد، لتكون بأقصى جاهزية وأعتى إمكانية بلا تقتير ولا تردد. يتقولون على الإسلاميين وقولهم أسود، يقلع عشب الحضارة، ويشرع الأبواب للغزو الأحقد، لكنهم لم يدخلوا يوماً قلب الإنسان. قد تكون كلماتهم خالطت القشرة الإنسانية في بلادنا لبرهة زمنية، امتلكوا فيها أسباب الحياة اليومية لإنسان بلادنا. إلا أنهم ظلوا طوال الوقت ينتظرون على البوابات.

كما أنه وجد تيار النهوض الإسلامي ينازل السلطات والمحتلين سلمياً في معظم الساحات، وأنه يحقق الإنجاز تلو الإنجاز فوق الساحة الإسلامية الممتدة، رغم ضعف الإمكانات وشراسة المعركة التي يخوضها. عندئذٍ لم يجد القول المعقول، ووجد نفسه أمام عيب واحد وحيد يَصِمُ الورد بأنه أحمر. أي إنه يصف تيار النهوض بالأصولية، وكأنَّ الأصولية وصمة عار. في حين أنَّ الأصولية التي نفهمها هي النهوض المتأسس المتأصل ذو الأصل والفصل المعروف مَن هو أبوه ومن هي أمه. وليس الهجين الذي لا يعرف الناس أباه ولا أمه. ومن هنا جاء مقتل هؤلاء، من هذه النافذة بالذات، إذ إن الناس لا يأبهون بضائع الأصل، ولا يعيرونه اهتماماً. ليس هذا عندنا وحسب بل هو ديدن الإنسانية الجمعاء. ارجع في هذا إلى تاريخ الغربيين: إنهم اقتبسوا معالم التجريب العملي من حضارة المسلمين، وأخذوا كثيراً من معالم التقدم منهم، ولكنهم عزوها إلى الجذر اليوناني أو الروماني، ليؤصلوا ما هم عليه، فلا يتيهوا بهوية حضارة الغير الإسلامي. وهم بذلك أصوليون جاحدون. بينما حضارتنا نحن أصولية غير جاحدة، إذ إننا لم ننكر يوماً أننا اقتبسنا علماً أو فكراً نافعين من غيرنا...: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النساء: ٥٤].

٢- أمثلة:

في مصر: عندما فاز المسلمون في الانتخابات التشريعية، ذهب الذين ضيّعوا الأمانة كلَّ مذهب في تفسير الحدث، وقالوا كلَّ كلام مرجف إلا الحقيقة، وهي أنَّ الناس في بلادنا- رغم أنوف المضيعين- مؤمنون بإسلامهم، مؤيدون لكلِّ من يحمله بقوة ويدعو لإقامته فينا حاكماً لحياتنا، ولا يحتاج الأمر لمناسبات أو أحوال اجتماعية أو سياسية ليظهر الإسلام فينا. إنه مقيم في الأمة إقامة قلوبنا وعقولنا وتاريخنا، مقيم حتى في قلوب أولئك الذين لا يلتزمون في سلوكهم بأدبيات الإسلام، فهم في صفِّ الفطرة الربانية أولاً، والثقافة المتأصلة على مدى خمسة عشر قرناً ثانياً. وهو ما لا يفهمه الذين خانوا الأمانة، وخرجوا عن خط الربانية التي ينظمها قول رب العزة: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٤]. فقد أراد الله لقلوبهم أن تكون أفناناً تظلل شرفات الدنى بإيمانها، ولكنهم حولوها إلى جدران صلدة من الجحود. وها هم اليوم وقد حيرهم فوز الإسلاميين في فلسطين!. لم يقر لهم قرار، ولم ترس لهم فكرة على أرضٍ صلبة، فهم يدخلون في حومة التحريض تارة، وتارة يكتبون بصيغ التشفي أو الأماني السوداء الحاقدة، فلم تبدر منهم كلمة ناصحة واحدة..!!، وإنها لقرارات خاطئة، بل هي الخطايا بعينها المحسوبة عليهم، المؤاخذون بتداعياتها، فقد بين الله جلا وعلا من يشهد عليهم بقوله المعجز: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤] إذن فكل شيء يصدر عن هؤلاء وغيرهم من الناس مسجل عليهم.. وأول ما يسجل عليهم أقوالهم وأكاذيب أقلامهم، وأعمالهم.. فليكن ذلك في علمهم وما يفهمون..

٣- تحت المجهر..!

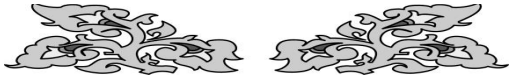

وهنا نضع تحت المجهر أداة حديثة من أدوات الكلمة الفاسدة، تحاول جرّ الناس إلى منهج ذي عين واحدة، لا يردعني عن هذا قول القائل: «إنك تعيش خارج عصرك»، والمضي قدماً لقول الحقيقة التي تتجه ببصيرة نافذة إلى تبني السديد من البيان: «إن معظم مصطلحات المنظومة الغربية ترمي إلى هدف مجهري يرغب أن يخترق جدران كل الحضارات فيهدمها مرة واحدة وإلى الأبد، لينجم عن ذلك هيمنة كاملة وإلى الأبد لحضارة المتعة واللذة والقوة الظالمة». وذلك على الطريقة الفرعونية التي ذكرها رب العزة في القرآن الكريم وهي القائلة «ما رأيكم إلا ما أرى..».

ولا أريد من هذا الأتفاق مع هذه القناعة التزام رأي لا حيدة عنه مهما كانت المعطيات والظروف والأحداث.. لا أبداً، إنما أريد من ذلك أن أطرح رأياً قابلاً للنقاش على ضوء الحقائق، التي تسوقها حقائب الأخبار والتحليلات والأفكار في ساحات العالم.

إن تحديات مثل تحديات ثورة المعلوماتية، والطفرة الإلكترونية التي سماها الأمريكي توفلر «حضارة المعرفة الإلكترونية» وهيمنة العولمة، والبث الكثيف للصورة والكلمة، ليبرز من خلالها وعلى ضوئها كل من يصفق لهذه التحديات، هادفين إلى وضع الأمة على حافة اليأس، كونها غير قادرة على إيجاد مكان لها في عربة هذه التحديات الكثيرة، راضخين لما قاله توفلر من أن هذه النقلة الإلكترونية سوف تخلف الحضارة الصناعية وهي لذلك «أدق وأرقى من سابقتها..».

إن تحديات مثل تلك التي جاء بها توفلر وغيره، لتشكل مصطلحات، ثم مرتكزات مصنوعة خصيصاً، لتضرب وجوه كل أولئك الذين ما يزالون يتمسكون بشيء من عناصر هويتهم الخاصة. فيواجهون بموجة امتلاك الغرب زمام المعرفة الإلكترونية لِسوق الصناعة والعمل والاقتصاد، وليمتلك ذلك الاتجاه كل شارات العولمة، التي تستطيع حينئذٍ أن توقف كل من يشذ عن مزاج المعلم الأوحد، الذي يتربع على عرش العالم، ويستقبل كل منفعة مادية، ليبدأ توزيع الفتات على الملتفين حول كرسيه. حسب بلاء كل منهم في خدمته.

كما أنهم يواجَهون بعولمة الثقافة، التي تتضمن مجموعة المعارف والحقائق والأنماط الحياتية والسلوكية والتصرف اليومي والتعبير عن كل ذلك بالكلمة والسلوك والموقف. وهكذا تُدخل التحديات الناس في عباءتها، من خلال إقناعهم أن كل ما يطرح في الساحة من ثقافة ومعلوماتية (يملك الغرب تصنيع أدواتها وبرامجها وسبل توجيهها) قدر لا مفر ولا مهرب من الدخول في معتركه ولبس ردائه، ولو كان كل ما يقوله وما يلقيه مفارقاً لكل الحقائق الأصيلة والصحيحة. إن الهجمة الإلكترونية التي ترافق في الغرب حملة تفكيك أدوات الحداثة التي رافقت الثورة الصناعية استطاعت أن تدخل حتى على بعض المحصنين بالإسلام والإيمان، فتقنعهم أن المشاركة ولو كانت عشوائية، أو الدخول – ولو كان غير حصيف- في بوابات حضارة الإلكترون أو ما بعد الحداثة التي يسمونها، هما عنوان التقدم، بينما هما في الحقيقة والواقع، سراب يجر الظمأى إلى حومات السراب والتقليد، الذين يؤديان إلى البوار، أو إلى الانخراط في برامج التقليد والببغاوية والتبعية المذلة.

وهذا القول مني لا يعني إهمال المعلومات ومتابعتها، بل هو اتجاه إلى رفض الخضوع للوهم والخداع، ومحاولات محو الخصوصية والهوية تحت مسميات مزخرفة ومبهرجة من العلم القاتل..

إننا كمسلمين ومؤمنين مدعوون للتعمق والبحث فيما بين أيدينا من معلوماتية ربانية وما تختزنه مستودعاتنا التاريخية، وما يفيد - من بعض الرشد الذي أنتجته حضارة الصناعة في العصور السابقة وعصرنا، وجمع كل ذلك تحت أيدي خبراء صنع التقدم منا، ليخرجوا منه بشيء يقود خطانا. إلى الفوز في هذه الدنيا وفي الآخرة التي هي الحياة والغاية والنهاية. وإننا مدعوون أيضاً إلى أن تكون لنا شخصية قوية متماسكة أمام كل الطروحات التي تصب المعلومات في أذهان الناس صباً، كالسيول المدمرة، لا تفرق بين مفيد نافع، ولا بين قاتل مهلك مدمر، ولا بين غث تافه لا يقدم ولا يؤخر- وهو الأكثر مما يطرح في جعب صفحات الإنترنت وغيره. وتتباهى حضارة المنفعة بكمه الهائل، وتنهزم تحت وطأته النفوس التي انقطعت عن مصادر حضارتنا، وركنت إلى كل ما يقدم لها، مهملة ما هو أساس رفيع لبناء مجتممعاتنا.

وإننا مدعوون إلى عدم ترك أجيالنا في موقف المبهورين تجاه ما تنتجه الحضارة الإلكترونية، يتلقون ما يتلقون من الغث الذي يشكل معظم ما تطرحه الوسائل المذكورة من معلومات، وإيجاد البديل الراشد الذي لا يهمل تلك الوسائل بل يدخل عليها دخول العارف الواثق المالك لبوصلة الاتجاه، القادر على أخذ زمام المبادرة الإيجابية، ومن ثم الانطلاق من عندها نحو المستقبل على بينة. إننا نحتاج إلى

جين إعلامي مهتد، يفرق بين الغث والسمين من الكم الهائل من معلومات كثير منها فاسد مغرض.

فهل في هذا التوجه من التفكير جور على الحقيقة والحق..؟

إنه مجرد سؤال بريء أو وجهة نظر للحوار، وذلك من أجل أن نضع تحت المجهر كل ما يجري من جرّ للأقدام، لتسير حافية فوق أشواك الادعاء بكثافة المعلومات وقيمتها العالية. أو الخضوع للانهزامية أمام غزوها الباطش.

٤- عصابة إرهاب

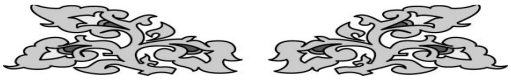

عصابة إرهاب[١]

التحرك للقوي، والعض للقوي، والعربدة للقوي، وأخيراً الكلمة للقوي، إنه إعلام الكلمة الفاسدة، التي تبث فلسفات الإغراق الإعلامي المعاصر، التي تحاول دوائر الإعلام المصنوعة على عين القوي أن تسوّقها وأن تروج لها، لتغلق دائرة الرأي في النهاية بفلسفة أخيرة تقول: إنه لا رأي إلا للقوي، وهي بذلك تستكمل حلقات قانون الغاب، الذي أراد له متنفذوا الغرب عامة والمتنفذون في القرار الأمريكي خاصة أن ينتشر ويعم، من خلال التطبيل والتزمير لشعارات حقوق الإنسان، واتهام كل العالم الفقير بأنه مرتع لانتهاكات حقوق الإنسان، وموئلٌ للإرهاب وشبكاته وعملياته.

وهي بذلك تتقدم على طريق الرؤى المتصهينة، التي قررت أن القرن الجديد سيسوده صراع الحضارات، ويحددون أكثر فيبنون إن طرفي الصراع هما: الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، إذ يحاولون تمرير مقولة أن الإسلام والعالم الإسلامي يقف اليوم بإرهابه وهمجيته وتكاثره الهائل في مواجهة العالم (المتحضر)، ويقصدون به عالم (الصهيوأمريكية).

إن هذا التضليل الإعلامي الغربي، بهذه المبادئ والفلسفات التي تحكمه، لا يستطيع أن يجد له مكاناً في فكر الناس المؤمنين بأوطانهم وأصولهم أياً كانوا، وإن

(١) نشرت في مجلة (رسالة الإخوان لندن) العدد ١٠٧- ٢٦/٨/١٩٩٨م.

هذا العداء السافر لكل ما هو أمريكي، الذي استوطن قلوب غالبية الناس في بلاد المسلمين، لأوضح دليل على أن هذا الإغراق الإعلامي، الذي يُضخ ليل نهار وينفق عليه بلايين الدولارات، محاولاً إفهام البشر فوق الأرض: أن الأمريكيين حريصون على حقوق الناس، وأنهم يديرون العالم لمصلحة هذا العالم، لم يصل إلى أهدافه المرجوة تماماً، بل ظل نبضه يتراوح بين الخفوت والصحو، فلم يجد في أمتنا من يلقي أذناً تقبل بلا نقاش تلك الترهات الإعلامية الضالة المضلة، إلا ممن جند ليدور مع مسننات الآلة الدعائية الأمريكية.

ولقد أنتج المتنفذون الأمريكان في السنوات الأخيرة، بضاعة مزجاة سموها «الإرهاب» وراحوا يعبئون بها رؤوس الإعلاميين عندهم، وينشئون من أجل خدمتها الدوائر الإعلامية الضخمة، الممتلئة لدرجة التخمة بذلك المصطلح الخبيث.

ثم راحوا يلقون بهذا المصطلح في وجه كل تحرك إسلامي، يطرح فكراً سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً، يحتوي على زيادة توعية للمسلمين، وعمق المعرفة بأنفسهم ومالهم وما عليهم، وتوضيح مبين لطريق نهضتهم ورفعتهم وأخذ مكانهم بين العالمين.

ولقد أخذ الإعلام التضليلي مداه في هذا الاتجاه، على مستوى الوسائل الإعلامية العالمية منها والمحلية والإقليمية، حتى رأيت أن حادث قيام أمريكا بضربات إرهابية لكل من السودان وأفغانستان، لا يجد له في التحليل الصحفي المكتوب والمرئي اتجاهاً سديداً، يسمي الأمور بمسمياتها الحقيقية، باستثناء من رحم ربي فوقاه شر تلك التحليلات والمفتريات.

إن مصطلح الإرهاب يجب أن يشمل كل الأعمال التي تقع، ويذهب ضحيتها أرواح برئية، ولقد تفجعت الدوائر الإعلامية كلها وبصوت عالٍ وصريح على

ضحايا نيروبي وتنزانيا.. فما بالها تكلمت على استحياء، ومن خلف البراقع عن الحادثتين الإرهابيتين الأمريكيتين في كل من السودان وأفغانستان؟!.

وما بالها صمتت نهائياً بل حبذ أكثرها الأعمال الأمريكية الإرهابية، التي أدارها بالوكالة «جون قرنق» وأمثاله ضد السودان.

إنه لا بد لأي مراقب أن يفكر ملياً في موقف الكونغرس الأمريكي، بما يضم من ديمقراطيين وجمهوريين، وحينئذٍ لا بد أن تشده وتدهشه تلك الوقفة «الكونغرسية» المتفقة خلف «كلينتون» فيما أمر به من عمل إرهابي عالمي لم يستشر به أحداً..

وإنها لوقفة تأمل وتفكر على حافة عالم إعلامي عجيب، تُخلط فيه الأوراق وتُخلط فيه الأفكار، وتُخلط فيه المبادئ والمصطلحات، فيقع إنسان العصر الضعيف في حيرة من أمره، وفي دوامة من صراع الفكر، وفي بلبلة من مفارقات المواقف وتعدد المكاييل، وإنه لعجب وأي عجب..! أن يسمع الإنسان من خلال الحملة الإعلامية الاغراقية كلمة الإرهاب توجه للمسلمين ولا توجه للصهاينة، الذين قام كيانهم المصنوع بالإرهاب والاغتصاب وتشريد أهل الأرض من وطنهم وبلدهم..!! وذلك بدعم أمريكي لا حدود له.

إن الإنسان الواعي لا يمكن أن يخرج من هذه الوقفة إلا بعد إلقاء الأسئلة التالية:

- إذا كانت دوائر الإعلام الأمريكية والغربية وقفت هذه الوقفة من الاستحياء تجاه الإرهاب الأمريكي الذي اقترفه كل من الرئيسين كلينتون وبوش. فما بال دوائر إعلامنا في العالمين العربي والإسلامي تقف الموقف ذاته، وهي التي لا تألو جهداً في التفجع على أي حادثة إرهاب، لا تكون

الضحايا فيها من العرب أو المسلمين؟!!

- ثم لماذا يقف العالم العربي هذا الموقف الصامت تجاه الضربات المتتالية الإرهابية الأمريكية للسودان وللعراق ولأفغانستان وباكستان وأخيراً سورية ومصر. وكأن الضربات حدثت لأقطار في عالم آخر بعيد، ليس لنا به أية علاقة؟!..
- ما هذا الاتفاق المريب والتكتل الغريب بين الجمهوريين والديمقراطيين في الكونغرس حول عمل إداراتهم الإرهابي، كلما كان العمل موجهاً إلى العرب والمسلمين؟؛ فقد ضرب بوش بصورايخ «كروز» فندق الرشيد في بغداد، وكان يضم مئات من مفكري وكتاب وصحفيي العالم الإسلامي، ولكن الله سلم، إذ لم يقع الصاروخ في المكان المناسب من الفندق، وإلا لذهب مئات من المدنيين من خيرة مفكري العالم، وقد اتفق وقتها الجمهوريون والديمقراطيون على سلامة إرهاب بوش.. واليوم كذلك فعلوا مع كلينتون فسخروا الإعلام للثناء عليه وعلى إرهابه الذي يحاول بواسطته التغطية على فضائحه الأخلاقية، وكذلك هم سادرون في تأييد انقلاب العسكر في مصر على الشرعية وصامتون تجاه المذابح البشرية الهمجية في سورية.. بل هم متآمرون راضون عن الفجائع في البلدين.

إن المتأمل لا يستطيع أن يفهم من هذا إلا أن الدولة الأمريكية بكل مؤسساتها الإعلامية والسياسية ما هي إلا عصابة إرهاب قامت فوق تراث المغامرين الأوائل، الذين غزوا الأرض الأمريكية، واستأصلوا سكانها الأصليين، بحجة شعارات حضارية زائفة.

٥- مهنية تضج بروائح الكيد

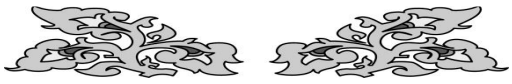

أبدأ ببيتين من قصيدة لسعيد قندقجي عنوانها: «عندما يستيقظ الرفض»

لـولا مخافـة صـحوتي مـا أجمعـوا أن يمنعـوا الإشـراق عـن حـدقاتي

فتفجـري يـا أرض آبـائي هـدىً وأمضـي كمـا الإعصـار يـا غايـاتي

ليلتحم الحلم بالعلم، ولينقطع الكلام على وقع صمت الاحتجاج، ولتقف السحب عن النشيج؛ لأن الأحداق مني احمرت، والجرح قد اكتوى بملح الكلام المحايد.. لمن الطريق الآن تفتح..؟ لقد دخلوا حتى إلى العظام، والرأس يمتلئ بدوي الحياد، المهنية! التي تضج أنفاسها بروائح الكيد.. تنفذ حتى من الجدران، واللهجات الفضائية تقتحم المكان مدججة بأستار «الرأي والرأي والآخر»، ذلك الحصان الطروادي المحشو بهمهمات الغياب المؤدلج بقنابل الغزو والهزيمة.. الحامل شعار المهنية القاتل..

هذا الإعلام الفضائي العربي.. لماذا تتكاثر أبوابه كتكاثر الذباب..؟ مع أنه في الغالب الأعم لا يحمل إلا نكهات مترادفة من عنوان واحد يقول: أكثروا من طمس الذاكرة، أهيلوا على التاريخ التراب، وافتحوا القبور لديناصورات المفاهيم التي أنتجتها عصور كانت تحمل الحلم في هذه الأمة، وترفع رايات ولافتات مهربة من أيام الانتصارات والكرامات.

تدخر الأمم لغتها لأيام الشدائد، لتبعث في الأجيال الحياة وروح الصمود، وليركب الوقت مواكب الإعلام المجيش لمعركة الحلم، المشارك في رايات النصر، الداعم للإرادة والعزيمة، المتواطئ مع أهداف الأمة وغاياتها وثوابتها ومستقبلها.

لكنهم يقولون لك وهم يختبئون خلف شعارات الهزيمة: المهنية حياد، والإعلام رأي ورأي آخر، في واقع الحال ترى بأم عيني رأسك هزيمة الحقيقة، ووقوعها ضحية الاستيقاظ على صوت الآخر، والرضوخ لإرادته وتوجيهاته، بعيداً عن الحياد والنزاهة. ولا أدلّ على روائح الكيد الذي ضجت به توجهات الإعلام الأمريكية من التوجه إلى إنشاء ما أسموه «مكتب التأثير الإستراتيجي»؛ ذلك المكتب الذي تخصص بضخ الأكاذيب الإعلامية بشأن الحروب في منطقتنا، ورضخت لمفترياته وسائل الإعلام الأمريكية إلا من رحم ربي، تحت شعار دعم المحاربين في ساحة الحرب، متخلية بذلك عن الحيادية والمهنية والشفافية ومقولة: (الرأي والرأي الآخر) وذلك في سبيل إنجاح الأطماع والمساعي المغرضة، أو خوفاً من انتقام المسؤولين، أو ترويجاً لأفكار الحروب الاستباقية فيما يتعلق ببلادنا وثقافتنا وإسلامنا.. وقد تجرأت إحدى الصحف الأمريكية وأسمت هذا المكتب باسمه الحقيقي وهو(مكتب الإفك الإستراتيجي)(office of strategic mendacits).

وقد أكدت هذا الاتجاه المؤيد للمحاربين في ساحة الحرب، وصناعة الأخبار بما يخدم هذا الشعار التعبوي الوطني الأمريكي.. بعيداً عن المهنية المدعاة.. أكدت هذا النهج الصحفية الأمريكية «كريستيان أمان بور» في حديث لها مع صحيفة (يواس تودي) يوم ٢٠٠٥/٢/٥م حيث قالت: ((أعتقد أن الصحافة كانت مكممة، أسفة لأن أعترف بذلك، وإلى حدٍّ بعيد تم تخويف شبكة «سي إن إن» من جانب الإدارة وجنود شبكة «فوكس»)).

إن أغطية الشعارات الخادعة، تلك التي يتلونها على مسامعك في الوسائل الفضائية، ليست إلا جوازات مرور للأعداء، تمنحها لهم هذه الوسائل – مجاناً أو بالدولار- من أجل أن يدخلوا إلى مخادعنا؛ ليحولوا المعركة إلى دواخلنا، وتكون النتيجة انسداد الفضاء بالأقاويل التي تتردد على مسامع الناس ليل نهار لتمثل «فذلكات» الوهم والخيول الهاربة إلى الأمام، لتنضم إلى مائدة الأعداء.

إن القول بالقواعد الأخلاقية للمهنة، والمهنية الصارمة، ليست إلا شعارات وضعها أصحابها لخداع السذج من الأمم الأخرى؛ لأن أي أمة أو مجموعة أو حتى أي شخص، لا ينشئون إعلاماً ويقيمون صروحاً، وينفقون طائلاً من الأموال، إلا ويبتغون الوصول إلى أهداف، ويريدون تحقيق غايات، ويسعون لبلوغ النصر في معاركهم من أجل أهدافهم وغاياتهم، «والحرب خدعة» يجوز فيها للمحارب أن يخادع عدوه، وأن لا يبث في ربوعه وعلى مسامع بنيه من الإعلام والإشاعات والشعارات ما يخذله، كما يجوز له أن يعبئ شعبه هو بكل أسباب القوة، ويخفي عنه كل ما يؤدي إلى ضعفه أو تخاذله أو تراجعه عن دعم معركته، ولا يعد هذا نقيصة من نقائص المهنة، أو خروجاً على قواعدها، بل العكس هو الصحيح.. إذ إن وقوع إعلامنا- رهباً ورغباً- في فخ الشعارات الخادعة، جعله – في غالب الأحوال- مجيشاً في التيار الذي يصب لصالح الأعداء، متمنطقاً بمقولات الواقعية والمهنية، وهو في هذا التوجه لم يخدم الحقيقة، ولم يمتلك المهنية التي أراد، ولم يحافظ على أخلاق العمل الإعلامي، وفي الوقت نفسه – وهذا الأهم- خرج من معركة الأمة..! ولا ينقص من هذه النتيجة أن بعض وسائل هذا الإعلام حاولت جاهدة مشكورة تغطية ما جرى في الحرب على العراق (حقائق وأحداث)، إلا أنها – في معظمها- حتى لا نعمم كانت مهزومةً في معركة التنظير للحرب وما بعد الحرب،

وفي تصوير القوة الهائلة التي لا تقهر للعدو، وتقزيم القوة المذخورة في الأمة، والمشاركة في التعتيم على المقاومة والتشهير بها والخلط المتعمد بينها وبين ما يسمونه الإرهاب- بالتعريف الأمريكي-.

إنهم يعيدون اليوم بناء الأحداث ونتائجها، على وقع أنغام الآلة الإعلامية الغربية التي تستثمر في ساحة الهزيمة الداخلية كل الوقت، لم يسمعوا صوت الحقيقة التي ترددها حناجر المستضعفين، ولم توقظهم نبضات القلوب المتألمة على هذا المصير الذي آلت إليه المسيرة.. ولم تهزهم صيحات المنافي التي قادوا الشعوب إليها، وحتى عندما راحوا ينظرون للتغيير، لم يجدوا أمامهم إلا شتم الأمة وتاريخها وثوابتها ومرتكزاتها وعناصر قوتها، ليصلوا إلى نتيجة- يريدها الأعداء – هي الهدم والبناء في الفراغ، متسلحين بوهم الواقعية والحيادية والرأي والرأي الآخر.. واستمع لأحدهم يتقدم في وسيلة من وسائل الإعلام: فهو يريد أن تصب الرواية العربية على إنسان فارغ لا يشغل قلبه أو فكره شيء من عقائد وأخلاق وآراء جاهزة، وذلك من أجل أن تكون الرواية ناجحة...! لأنها حينئذٍ تقع على كيان أجوف يعبأ بترهات الرواية.. هل سمعت بكلام تافه كهذا، يُحتفى به في وسائل إعلامنا، ليقال: إننا مع (الرأي والرأي الآخر)..

لا.. لا.. إنها مهزلة، إنها أغطية لتفريغ المحتوى الذي ما زال صامداً يدافع عن حدود الأمة، وعن شخصيتها ووجودها، وذلك من أجل أن لا يمر الآخرون إلى دمنا.. إلى عقولنا.. إلى قلوبنا.. إلى طريقة عيشنا وحياتنا، وأن لا يحق لأبرهةَ الحبشي أن يصول ويجول، دون أن يخشى حجارة الأطفال، ولا سكاكين النساء في المطابخ، ولا هدير الشباب في الشوارع، ولا ينابيع الطوفان تتفجر؛ فالناس نيام على وقع التمرير، وصليل الأصفاد تطعن قلب الحق والحقيقة.. ولكن، لا.. لا..

أبداً. فإن للحق والحقيقة سراً لا يدركه إلا قلب كل مقاومٍ؛ فهو على يقين أن موقفه سوف يستدعي من الضفة الأخرى صوتاً مثل صوت المخرج الأمريكي «مايكل مور» ليقول: «إننا نعيش في زمنٍ وهميٍّ، يدفعنا إلى حربٍ بأسبابٍ وهميةٍ ورئيسٍ وهميٍّ، إننا ضد الحرب، يا سيد بوش عارٌ عليك». وسوف يتعاظم ذلك الصوت بارتفاع هدير المقاومة في أمتنا.. وليس بخنوع التماهي في المشروع الأمريكي المفبرك لشرفنا..!! وإذا كان بوش قد تعامل بخشونة من أجل فرض روايته عن الأحداث، فها هو خليفته يتعامل بنعومة واهمة لتمرير روايته عن أحداث منطقتنا.. وهي في الحقيقة رواية مثل رواية بوش.. لا تختلف عنها في الأهداف، ولكنها تعمل بقفاز الخداع الإعلامي الناعم.. لكن ذلك الخداع لم يستطع أن يمنع طوفان الشعوب في أوطاننا التي فاضت بها الشوارع، مطالبة بحقوقها وحريتها وكرامتها، مستردة قرارها الذي استبد به المستبدون على مدى قرن من الزمان الحديث.

٦- الإعلام والعنف

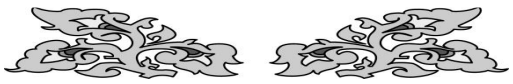

الإعلام والعنف[١]

والفضائيات العربية تشارك في عملية التوهين للأجيال، وتضليلها بالصور الملتبسة الموهمة والكلمة غير الصادقة، ففي كل لحظة يسمعونك كلمة «العنف»، ولكنك تستطيع أن تشعر باللكنة المريبة التي تدنس حواشي الكلمة، وهي تخرج من أفواه مذيعي «الفضائيات»، خصوصاً عندما يتعمدون إضافة «الإسلامي» إلى الكلمة التي أصبحت حصة أساسية من لعبة «الكبار»، لتوجيه الأحداث وتغيير وجهها البريء، وبالتالي لتسكن حزينة مقهورة في محافل المزورين، الذين سدوا كل الآفاق أمام البراءة..

ولكننا لن نستكين لسيوف الفضائيات المشرعة بمختلف المشاهد، مقاتلة في صفوف التوهين والتخريب لحصون الأمة، ومستفزة مشاعر الناس الدينية والاجتماعية والأخلاقية، وحتى الاقتصادية.

بل إننا سنتولى الهجوم البياني، لنظهر كل تلك التفاعلات السلبية التي تفعلها البرامج التلفازية المبثوثة من شتى القنوات المحلية والفضائية، العربية منها على وجه الخصوص.

بداية نضع بين يدي القارئ قائمة تضم بعضاً- من تلك العناصر السلبية، التي

(١) من مجلة رسالة الإخوان- لندن/ العدد ١٣٦- تاريخ ٢١/ ٤/ ١٩٩٩.

تؤدي إلى تفاعلات داعية للعنف، الذي تستجير منه أفواه أولئك القائمين على البرامج والمنفذين لها وَمَن وراءهم من مفكرين وسياسيين وأصحاب سلطة.

١- الأعمال الدرامية التي تبث الفساد، وتهون موضوع العنف، لتجعله سمة بشرية عادية.

٢- مناقضة محتويات وقناعات الناس الدينية والأخلاقية.

٣- إثارة واستفزاز مشاعر الناس بالعروض الدعائية التي لا يَقْدرُ معظم هؤلاء الناس على اقتناء المعروضات المطروحة.

٤- تغييب لغة الحوار، حيث تتكفل البرامج المختلفة بتوجيه الناس إلى وجهة نظر واحدة يريدها المنفقون على تلك البرامج أو القنوات.

٥- مصادمة خصوصيات الناس في محاولة سافرة لفرض أشكال المعيشة الغربية ووسائلها وخلفياتها الفكرية وحتى العقائدية.

٦- وضع القيود والمعوقات على الفكر الإسلامي ومنطلقات الأمة الأصيلة التي فيها قوة الأمة وحصانتها.

وفي هذه السطور يمكننا إيراد بعض التفصيل حول البندين الأول والثاني، فنقول:

أ- في البند الأول

إن الغالبية العظمى من المادة الدرامية المبثوثة في كل المحطات الفضائية والمحلية لا تخرج عن ترويج موضوع العنف، وجعله أمراً مألوفاً لدى الناس ومشاهداً يومياً، وتصويره على أنه ضعف بشري عادي، وكل ذلك فيما يخص العنف الجرمي الجنائي، حيث تصور البطولة والقوة والشهامة في أشخاص يمثلون جهة الدفاع عن

بعض الحقوق الشخصية أو العمومية المحدودة، بينما إذا كان الأمر يتعلق بالدفاع عن حق الناس وفكرهم العام ودينهم وخصوصياتهم، فإن الصورة تشوه والمناظر تختلف، والبطولة هنا تصبح إرهاباً وخروجاً عن المجتمع.

وتُفتعل المشاهد المدانة لتلصق بالمسلمين ودينهم، وذلك حسبما يريده الحاكم أو المسؤول أو صاحب الهوى المريض. ومن يريد أمثلة فليرجع إلى أجندات وبرامج مختلف المحطات، وإلى مسلسلات عادل إمام وغيره، وإلى المسلسلات التي أخرجها المخرج المصري يوسف شاهين، وإلى بعض مسلسلات المخرجين في سورية، حيث اعتدت تلك المسلسلات على التاريخ والحقائق وقناعات الناس الدينية والواقعية، فقد غمط مسلسل «حمام القيشاني» تاريخ الجماعات الإسلامية، وأبرز دور الشيوعيين الذين كانوا من أضعف الجماعات تأثيراً في المجتمع السوري خلال الفترة التاريخية التي تناولها المسلسل.

وقد يتساءلَ المرء كيف تؤثر مثل تلك الأعمال الدرامية وعرضها الدائم على المشاهد في قضية العنف وترويجه؟ أقول رداً على السؤال: «إن فاعلية ذلك الدور لتلك العروض في تشجيع العنف واضح جداً لكل ذي عينين؛ إذ إن عرض مختلف وسائل العنف من خلال تلك الأعمال يستهوي الأجيال الناشئة، ويدفعها إلى تقليد الشخصيات المعروضة، ثم إن ردة فعل الشباب والناس عامة على الأخطاء التاريخية والواقعية والحديثة خصوصاً تلك التي تلوي المقولات ليلاً، تكون عنيفة، لأن مجال الرد القلمي والكتابي عليها محظور تماماً في بعض الأحيان، أو هو من الصعوبة بمكان في أحيان أخرى، فلا يجد المشاهد الغضبان أمامه حينئذٍ إلا باب العنف للردّ ! خصوصاً عندما يكون العرض الدرامي أو الخطاب مناقضاً لعقائد الناس وأخلاقهم وهوياتهم.

المبحث الثاني

الإعلام وتزييف الوعي

١ - قذيفة الحق

٢ - ما زال في القوس منزع

٣ - الإعلام والصدق والعدل.. وتزييف الوعي

٤ - مع الحوار الصادق

٥ - مضمون إعلامي غربي هجومي ومقترحات

٦ - الشعار والحقيقة

١- قذيفة الحق

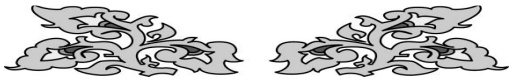

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٨].

إن الحق يجب أن يكون قوياً ومتسلحاً بأدوات القوة، التي أولها الإعلام القوي المتزن السريع الحي..

منذ زمن، اشتد الباطل الإعلامي في قضية حساسة من قضايا المسلمين المعاصرة، وهي التي تمثلت بظاهرة الهجوم على المصارف الإسلامية ونجاحها كتجربة عملية، روجت للمفاهيم الاقتصادية الإسلامية في السوق وساحة التعامل اليومي. فقد أدت تلك المصارف دوراً فعالاً ومؤثراً في إحياء مفهوم حرمة الر با كمصطلح فقهي وتطبيق عملي لقضية إسلامية خطيرة، يترتب عليها ما يترتب من مصائر، جعل الله سبحانه وتعالى نجاحها متعلقاً بنظافة المجتمع من لوثة التعاملات غير السوية وغير الإنسانية وغير الودية؛ تلك التعاملات التي تنتج عن التعاطي الخشن الجشع بالربا.. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

ولقد ظل الإعلاميون العلمانيون صامتين زمناً عن تلك التجربة الرائدة، التي أخذت تنتشر في بقاع وبلدان إسلامية عديدة، منتقلة بتؤدة إلى الغرب، حيث توجه بعض الاقتصاديين الغربيين إلى البحث عن إمكان إنشاء مصارف تتعامل بالطريقة الإسلامية، وذلك لما رأوا نجاح تلك التجربة في العالم الإسلامي، وما عرفوا من

الأضرار الوخيمة التي تترتب على التعامل بالربا؛ ذلك الوباء الذي أدخله يهود على المجتمعات الغربية. ففي ألمانيا قام هربرت شنايدر مدير مصرف المدن في مدينة فرانكفورت الألمانية بإدخال مصرفه إلى مجال المصارف الإسلامية، والتعامل بما تتعامل به من معاملات، وفتح فروعاً له في المدن الألمانية وفي البحرين. وكان هذا الاقتصادي اللامع قد بين مضار التعامل بالربا، حين قال: «إن الربا تجارة جشعة وأكل الأموال الناس بالباطل».

وباعتقادي أن سكوت أولئك الإعلاميين العلمانيين عن تجربة المصارف الإسلامية كل ذلك الزمن، كان بسبب أنهم لم يُقَدّروا لها نجاحاً في بدايات عملها، فلما وجدوا أن التجربة بدأت تؤتي أكلها، وتتطور، وتنتقل عدواها، أوعز إليهم السياسيون الذين هم على شاكلتهم، فراحوا يُطبّلون بأبواقهم ومن فوق منابرهم ضد هذه المصارف. وأغلب الظن أنهم ينطلقون في حملتهم تلك، عن جهل وغيظ وحقد دفين على كل شيء تضاف إليه كلمة الإسلام، وإلا فما معنى أن يقول شخص مثل (إبراهيم سعده) في أحد مقالاته «الساخنة»!! مدعياً «أن هذه المصارف تمارس دور الخداع والتضليل والضحك على الناس باسم الإسلام، واستغلال الدين لتحقيق أكبر قدر من الأرباح»...

إن هذا الصحفي وكثير غيره ممن اتخذوا من الجهل والحقد بضاعة يلاحقون بها- من على المنابر التي هيئت لهم ليعتلوها- كل معلم يلوح منه طعم أو رائحة أو لون الإسلام.

إن شياطين الإعلام يتقيأون كلمات الضلال ليل نهار، وتنشرها وسائلهم في طول العالم الإسلامي وعرضه. فهل استقال الإعلاميون الإسلاميون- بشبه الصمت الذي يلف مواقفهم من هذا الموضوع- من حقيقة أنهم قذيفة الحق التي

تزهق باطل هؤلاء الإعلاميين العلمانيين؟!: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾.

أما اليوم فإن الباطل يواجه الانحسار والكمون، أمام النجاح المستمر الذي حققته المصارف الإسلامية، فبالإضافة إلى التقدم الملموس للصيرفة الإسلامية في بلاد العرب والمسلمين.. فقد تقدمت هذه الصيرفة في ماليزيا وفي أوروبا، فافتتحت في لوكسمبورغ المصرف الإسلامي (يوروسبانك)، برأسمال كبير، وهو يهدف إلى فتح فروع له في باريس وبروكسل وهولندا وفرانكفورت. وقد صرح (ماركوليتشتفوس) في مقابلة له نشرت جريدة السبيل الأردنية مقاطع منها بتاريخ ٢٠١٣/١٢/٥.. صرح بقوله: «كانت أوروبا سوقاً واعداً وجذاباً لا يتوافر فيه حتى الآن مصرفية متوافقة مع الشريعة الإسلامية- فإن تأسيس يوروسبانك (Knabsirue) كأول مصرف إسلامي في منطقة اليورو، يحمل فرصاً وإمكانيات كبيرة لتوسيع الخدمات المالية الإسلامية. وماركو هذا هو شريك في شركة «ديلويت»، التي نفذت الجدوى الاقتصادية للمصرف الإسلامي، فهلا اجتهد الإعلام الإسلامي في الدفاع عن أحد منافذ الوجود الإسلامي وتطبيقاته في العالم اليوم"، فقد وجد كثير من المنصفين من غير المسلمين صدقية وصلاحية وأفضلية الرؤية المالية الإسلامية..؟.

٢- ما زال في القوس منزع

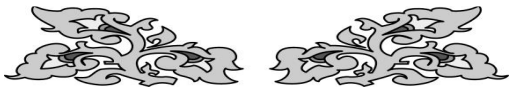

ومن قذائف الحق تبييت الإعلامي الإسلامي النية لدحض عمليات تزييف وعي الإنسان عن طريق وسائل الإعلام وآلياتها.

ففي ديننا الحنيف لا يعتد بعمل إن لم تسبقه أو ترافقه نية، حتى ولو كان العمل عملاً خيرّاً، يفيد الإنسان الفاعل نفسه، ويفيد غيره.

«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل إمرىءٍ ما نوى».

ومن واقع الحال، ومن خضم الحياة، ومن خلال الخبرات والتجارب الموجودة فوق الأرض قديماً وحاضراً، نستطيع تأكيد القول: إنه لا توجد أفعال إنسانية خالية من النوايا والأهداف والتوجيه، كما نستطيع تأكيد قول القائلين: إنه لا توجد رسالة إعلامية محايدة بدون توجيه.. مهما اختلف شكل التوجيه أو هدفه أو مضمونه؛ غضاً طرياً بلا خبرة كان، أم قديماً عريقاً قائماً على تجربة واسعة وخبرة متراكمة. مفيداً نافعاً ربانياً كان أم قائماً على منهج الضرر والضرار والفتك بالآخرين.

لقد قامت دعوات مشبوهة منذ آماد طويلة في باب الأدب والفن، تقول بعدم «أدلجة» الأدب والفن، لأن ذلك يطعن في الفنية والإبداع، وقال أصحاب هذه الدعوة مقولتهم المشهورة: الفن للفن وحسب.. ولكنهم نسوا أنهم عندما كتبوا وألفوا وأبدعوا كانت النية والتوجه ترافق كتاباتهم، وتطبعها بطابع العبثية، وكانت

تلك الصيغة العبثية التي استخدموها، تخبئ في غياهبها نفوساً مريضة، تريد إزاحة كل ديني وعقدي وأخلاقي من طريقها..!!.

إنها سنة حياتية ركزها رب العزة في أصل المخلوقات، فكانت كل حركة وسكنة في هذا الكون، تتجه بهدف وإلى غاية وبنية .

ولقد حافظت الكائنات غير الإنسانية على أصل الفطرة التي أوجدها الله فيها، وسارت على دربها.. وجاء الإنسان الذي كرمه الله على باقي المخلوقات، فغير وبدل في أصل الفطرة، متبعاً هواه وشهواته، مغلباً لها على استقامة نوازعه الباعثة لوسوسات الشياطين في أذنه وعقله.

وكان اليوم ما كان من تلك الحملة الإعلامية الثقافية الغربية التي تحاول أن تضفي على صورة الإسلام والمسلمين نمطية معينة، لتقنع العالم أن الإسلام مرادف للإرهاب والهمجية والتخلف، وأن المسلم شخصية تثير الرعب، وتبعث على الاحتقار، وتستحق الإهمال والإقصاء، بل والملاحقة والقتل.

إن الغرب الذي يعيش اليوم حالة من الانبهار والانصهار في حمأة ثقافة تأليه العقل والتقنية، والتقوي الباطش المهيمن المتعسف، يحاول بذلك إبعاد الله عن ثقافة الناس وحياتهم ومآلهم.. وكل ذلك يحدث بفعل شياطين من الإنسان، استطاعوا امتلاك ناصية التوجيه العالمي، بكل ممتلكاته من الوسائل الفذة الخارقة، وجنحوا بها لحرب إعلامية تنمط الناس، ساعين إلى فرض رؤاهم الخارجة على كل دين وعلى كل القيم، وعلى كل خلُق، آخذين من وسيلة دخول الناس في دينهم الجديد، ليحققوا بذلك غاية أخيرة سولتها لهم أنفسهم الأمارة بالسوء، وهي الهيمنة على هذا العالم، وإدارة ثرواته وبشره، بحيث يصب كل ذلك في أحضانهم وعند رغباتهم وشهواتهم ومطامعهم.

ورغم كل القوى التي امتلكها هؤلاء الشياطين، فقد بقي في القوس الغربي العاقل منزع، وظلت هناك أصوات تمتلك بعضاً من أصول الفطرة، وبقايا من نوازع الخير وحب منفعة وفائدة البشر والرغبة في خلاصهم من الظلمة المادية الصفيقة، التي رانت على العقول والقلوب والسلوك هناك.

فما الذي يستطيع الإعلام الإسلامي فعله تجاه المسلمين أولاً، وتجاه تقوية تلك البقايا الخيرة في المجتمعات الغربية؟

إنها رسالة مزدوجة، لا ينفع فيها السكون ولا الهدوء ولا التواني.. إنها رسالة لوقف مدّ تلك الحرب الإعلامية الغربية الظالمة، أن تهيمن نهائياً على المسلمين، ومن ثم لدعم أولئك البقايا، ليعلوا صوتهم، وتمتد كلمتهم..

ولكن كيف؟...،

إنها الحكمة الربانية، التي يجب على المسلمين الركون إليها، بحيث يضعون الندى والحوار والكلمة في موضعها المناسب، ويضعون السيف والقوة والشكيمة والشوكة في موضعها ووقتها المناسب.. وفي النهاية لا بد من نصر الله لمن تكون غايته ونيته خالصتين لوجهه تعالى.

وهذا لا يتحقق بالكلام والخطب والكتابات وحسب، ولكنه العمل الدؤوب المثابر، والبذل من الوقت والجهد والمال، وذلك لملء الفراغ الإعلامي الذي خلفه السكون والتواكل في ساحة المسلمين.. فكم من الأثرياء الخيرين محجمون عن الاستثمار في أبواب الإعلام الصحفي والفضائي، وفي أبواب الأدب والفن، وهم غافلون عن قضية كبرى في هذا العصر: وهي أن معظم الأفكار والمناهج إنما فرضت على الناس بواسطة الإعلام والأدب والفن: وأضرب على ذلك مثالاً باشرته بنفسي، وقد زرت إحدى القنوات الإسلامية في بلد مسلم كبير فروى لي

أحد المشرفين على تلك القناة، كيف أنهم لاقوا التردد والإعراض عن تمويل مشروع تلك القناة من قبل أثرياء خيرين كثيرين، إذ كانت حجتهم في ذلك الإعراض قولهم: إنه مشروع غير مربح وغير مفيد.. ألم يروا أن أكثر من خمسين بالمئة من الفوز في معارك الأمم اليوم إنما يقوده الإعلام والفن الموجه والأدب الهادف.. المذخورة كلها بالنيات..

٣- الإعلام والصدق والعدل..
وتزييف الوعي

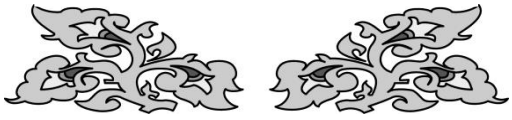

الصدق منجاة، والتزييف مهلكة، وقد قال تعالى جلّت قدرته:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وقال العالم يحيى بن كثير رحمه الله: (ما صلح منطق رجل قطّ إلا عرفت ذلك في سائر عمله، ولا فسد منطق رجل إلا عرفت ذلك في سائر عمله).

لتتحدث عن نفسك بوضوح، ولتقدم نفسك بنصاعة الصدق، وليسمعك وينصت إليك الناس، فتدخل قلوبهم وعقولهم، وأنت تستعمل أدوات الإعلام المختلفة في كلامك لهم عن مسالك حياتهم اليومية.. أقول، حتى يكون لك ذلك كله، وتكون الإعلامي المؤثر، صاحب الكلمة المسموعة المقنعة.. يجب أن تمتلك القوة، ولا أعني بالقوة هنا قوة السلاح والساعد، رغم أهميتهما في معادلة التوازن المطروحة في ساحة العمل العصري أياً كان نوعه، بل أعني به الحقائق التي تحملها، وطريقة العرض التي تسوّق بها معروضاتك من تلك الحقائق الصادقة، وعناصر الخطاب ومفرداته، التي تستحضرها لكل معروضة تعلنها، وأخيراً وليس آخراً قدرتك على إنشاء الحدث الإعلامي وصنعه، ومن ثم إمكانيتك في صياغة الخبر الصادق للحدث، واقتدارك من خلال صدق اللهجة، والعدل في التوجه على صنع المنطق الصالح النقي، والبيان الناصع القوي، المتماسك الرواية، المفهوم من الجميع، المحاط بعناصر الإقناع، وسريع التفاعل مع الحدث.

إن هذا التعداد الموجز لعناصر الخطاب الإعلامي، الذي يحمل للناس الوعي الصادق، ومن ثم التفاعل المناسب مع هذا الوعي، هو الذي ينطبق على قول «ابن كثير»: (ما صلح منطق رجل قطّ إلا عرفت ذلك في سائر عمله...). فكان عمله الذي يطابق خطابه متميزاً بالصدق والعدل، وبذلك ينسجم القول مع الموقف، وهو ما يرتب الوصول إلى النتيجة التي ينشدها كل إعلامي إسلامي، وهي أن تصل كلماته إلى الناس ناصعة واضحة، غير مزيفة للحقيقة، ولا مبدلة لأسس العدل والصدق. ومن هنا وبناءً على ما قدمنا، نرى أن هناك في هذا العالم اليوم تحالفاً إعلامياً، أو قل توجهاً في «الميديا» غير مكتوب، متواطئ على تجاوز الصدق والعدل، وعلى تزييف الوعي، ورمي الحقائق خلف الظهر، وتزيين الكذب وزخرفة الخداع واللف والدوران، وكل ذلك يجعلونه متخفياً خلف لافتات الحيادية والمهنية الزائفتين، اللتين تُستخدمان أسوأ استخدام، في سبيل قلب الحقائق، وليّ أعناق النصوص، لتؤدي دوراً خادعاً وهداماً في كثير من الأحيان، أو لتمرير البرامج والقضايا والحلول الظالمة، تحت غطاء من الكثافة في الضخّ بهدف أن تُلبس على الناس الفهم، وتجعلهم داخل دوّامة من الحيرة والضياع وعدم الموثوقية، ولكن ذلك في الغالب الأعمّ يؤدي إلى عكس ما يريده صانعو هذا التحالف غير المكتوب، بحيث يقف معظم الناس اليوم من الإعلام المتواطئ الموقف المريب في كل فنون القول، المشكك بما تنقله وسائله، باعتبار أن كلها أكاذيب وتزييف للوعي العام.

لقد دخلت في هذا التواطؤ الكثير الكثير من الوسائل والأدوات الإعلامية المعاصرة، سواء منها الرسمية التي ترعاها الدول والحكومات (خصوصاً الديكتاتورية منها)، أو الخاصة التي يموّلها مستثمرون لهم برامجهم الخاصة،

وتوجهاتهم المعاندة لما يؤمن به الجمهور، المتوجهة في بثها إليه، وفيما يخص عالمنا العربي أدت تلك الوسائل أدواراً، خدمت أهداف الأعداء، من حيث درى أصحابها بذلك أم لم يدروا، أما فيما يخص القوى الكبرى فإن «الميديا» التي يبثونها بكثافة، أدت إلى عكس ما يرغبون، وإلى انفضاص الناس عن الاستماع أو رؤية أو قراءة تلك الوسائل، وإن استطاعت أن تستقطب البعض، ممن يروق لهم بثها والأفكار التي تعرضها، لأن هؤلاء مستولى على أفكارهم وتوجهاتهم أصلاً.

ولكي يكون كلامنا الذي سبق ذا مصداقية وواقعية، لا بدّ لنا أن نضرب المثل عليه من تحالف الإعلام الصهيوني الأمريكي، مع إعلام السلطة الفلسطينية في ترويج كذبة الحلّ لدولتين في فلسطين.

وهو تحالف غير مكتوب تواطأ على تزييف الحقيقة، وتضليل الناس، والتغطية على ما يجري من كوارث بشأن القضية الفلسطينية..

إن هذا المنطق الذي جرى التحالف بشأنه من الوضوح بحيث لا يمكن تغطيته، هو منطق شديد الفساد، كارثي النتائج، إذ يحاول بعض الفلسطينيين التغطية على مآلات منطق التفاوض الجاري بين السلطة والصهاينة.. ويكفي أن يستمع الناس إلى تصريحات الرئيس بوش أثناء زيارته الأخيرة للمنطقة، حين يتأكد لهذا الإنسان ما يدبر من كوارث للفلسطينيين، تختفي بين حروف الكلمات. ولنلق نظرة موجزة وبسيطة على كلمات بوش وأولمرت، وكلمات الرئيس الفلسطيني محمود عباس، ليتبين لنا مدى الخداع والمراوغة وابتعاد الصدق والعدل في عملية تزييف الوعي الفلسطيني والعربي!. فكلمات بوش أينما حلّ كانت تُحمّل الفلسطيني مسؤولية تعكير الأمن في فلسطين، لذلك فقضية الحلّ، تكمن في القضاء على مقاومة الإنسان الفلسطيني لاحتلال أرضه وتخريب زرعه وحرثه وقتل نسله، إذ إن هذه

المقاومة التي لا تمثل في حروف بوش إلا إرهاباً يجب القضاء عليه، ليحلّ السلام.. وأي سلام؟! إنه السلام، الذي يحسب حساب الديموغرافيا الجديدة (بناء المستوطنات)، ويحسب حساب تغيير الحدود، ويحسب حساب دولة فلسطينية ساهرة على أمن يهود، فهي بلا شوكة، ولا اقتصاد، ولا سيادة، ولا حرمة، إذ يحق ليهود اجتياح أرضها في كل وقت لملاحقة الإرهابيين.. وبعد ذلك كله: كم من المساحة سوف تضم دولة فلسطين من الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧، إن ما يدور من أحلام تتناوشها حروف وكلمات بوش وأولمرت لا تتعدى نصف الأرض المقطعة بالطرق الالتفافية والمستوطنات المستولية على الأرض الخصبة المجزأة بالجدار الذي لم يذكره أحد في كلماته طيلة الأيام الثلاثة التي قضاها الرئيس بوش في ربوعنا، ولا فطن هذا الرئيس لذكر الاحتلال بكلمة تبين حقيقته وأنه سبب الأسباب في كل ما يدور من كوارث ومعاناة ومآس وحصار على الأرض الفلسطينية، بينما يركز أولمرت على الأمن وكأن الإسرائيلي القاتل القادر المدجج بكل الأسلحة الجوية والبرية والبحرية هو المحتاج للأمن.. وليس الفلسطيني الأعزل إلا من حجر أو سلاح فردي بسيط أو صاروخ بدائي لا يتعدى فعله صوته، أو لكأن الإسرائيلي المحتل المختل، السارق لأرض الفلسطيني، الناهب لمستقبله، الوائد لحلمه، القاعد فوق صدره، المحاصر لحركته هو الذي يحتاج إلى الإنصاف من بوش والعالم..!!..

ويأتي مسؤول فلسطيني كبير ليقول عن كل هذا السخام من الحروف والكلمات بأنه بصيص الأمل المنتظر، وليصف الزيارة البوشية بأنها تاريخية!، وليستجدي على استحياء منه بعض الحقوق، التي يجب عند أهل النيات الحسنة أن تعطى بلا تفاوض، ثم ليؤمّن على محاربة المتمردين والإرهابيين، وليعمق الشرخ

بين فصائل الفلسطينيين، وليدخل الخلاف الفلسطيني الفلسطيني داخل معادلة الاستجداء الخانعة المذلة.

ويأتي وزير خارجية أمريكا (كيري) هذا الأيام الأخيرة من عام ٢٠١٣ ليزور الكيان الصهيوني والسلطة العباسية حاملاً أوهاماً للفلسطينيين، لا تختلف بشيء عن ترهات بوش الاستسلامية، ويدخل الأوروبيون على الخط ليبشروا الفلسطينيين بمساعدات هائلة إن هم دخلوا فعلاً في عملية الاستسلام البائسة، وتصر السلطة على السير في هذا المسار التفاوضي الخائب، وعلى الإبقاء على التعاون الأمني مع الصهاينة، وكل ذلك مصحوب بإعلام كثيف يزين الاستسلام على أنه الحل الأفضل والأسلم، مزيفاً الحقيقة، وقافزاً عن سبب المشكلة الذي هو وجود كيان مغتصب أصلاً.

إننا لم نسمع في التاريخ أن شعباً استطاع أن يحصل على حقه من محتل عادي، بالاستجداء والموافقة على كل ما يطرح المحتل، وذلك بعد أن يفرغ الذين نصبوا أنفسهم مسؤولين عن هذا الشعب نضال شعبهم من كل وسائل الضغط على العدو.. فكيف بنا والمحتل لفلسطين يدعي أن الأرض من حقه، وأن الوطن له، وأن الفلسطيني غريب، يستحق أن نفرد له بعض الحقوق ليعيش لائذاً بعدوه، خانعاً لإملاءاته..؟! وأنتم أيها اللاجئون خذوا من بوش تعويضات عن وطنكم ولا عزاء لكم إلا بالاستسلام الذي تدعوكم إليه السلطة..

إن غاندي المثل الوحيد في العالم على تحقيق أهداف الشعب بدون قتال أو قوة عنفية، لم يستطع أن يحقق ذلك الإنجاز إلا بعد أن انضم إليه كل الشعب الهندي، الذي استعمل القوة السلبية المتمثلة بالعصيان وتعطيل الحياة، وجعل مهمة المستعمر الإنجليزي مستحيلة.. وإذن فهي قوة الكتلة، وصمود إرادتها على تحمل كل النتائج

العنيفة التي استعملها المستعمر.. ولكن الرئيس الفلسطيني يقول: إنه ليس ضد القوة العنفية وحسب، بل هو ضد انتفاضة الحجارة..!! هو فوق ذلك يأمر رجال شرطته وأمنه بقتل الفلسطيني الذي يقاوم «منيح»!!..

فأين هذا المنطق من الصدق والعدل.. إنه المنطق الذي يزوّر الحقائق، ويزيّف الوعي. ويذهب كل يوم ليفاوض يهود، وهو يعلم علم يقين: أن ليس عند هؤلاء ما يقدمونه لمن ليس بيده أية ورقة يناضل بها إلا ورقة قتل شعبه بيده، أو السكوت عن المجازر التي يرتكبها يهود، وآخرها مجزرة حي الزيتون في غزة يوم ٢٠٠٨/١/١٥م ومجازر الرصاص المصبوب وما بعدها عام ٢٠١٢، وليظلّ الفلسطيني الذي حاصر خياراته ووحدها بخيار التفاوض الخاوي، وذلك ليدور في الرحى التي لا تجد ما تطحنه إلا المرّ والفراغ، وصدق الله العظيم القائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

٤- مع الحوار الصادق

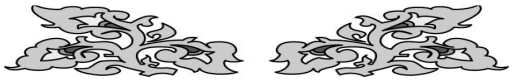

إن الحوار ذا النوايا الباحثة عن الحق سبيل قويم لتصحيح الأفكار ونبذ المعوج منها.

ويتسارع الكثيرون إلى عقد مؤتمرات تدور أبحاثها حول عبارة «الإسلام والغرب». وقد أخذ هذا المصطلح ينداح على سطح الصفحة الإعلامية الدولية والإقليمية منذ زمن. وكان من أمثلة ذلك ابتداء المؤتمر الذي عقد في القاهرة، منتصف شهر «تموز» يوليو ١٩٩٧، تحت عنوان «الإسلام والغرب» بين الماضي والحاضر والمستقبل، وحاز على زخم إعلامي كبير، دعت إليه وزارة الأوقاف المصرية، وحضره ما يقارب المئتي مفكر، من خمسة وثمانين دولة.

والسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح في هذا المقام هو: ماذا يمثل هذا المصطلح.؟ وإلى شيء تهدف هذه المؤتمرات؟ التي تعقد لدراسة أبعاد المصطلح، ومستقبل وحاضر العلاقة بين الغرب والإسلام..؟

وإذ كنتُ مبدئياً مع الحوار الهادف الصادق، في أي موضوع يشغل بال الشعوب والأمم الحضارات، وكنت أيضاً مع اللقاء الدائم بين بني البشر، على مائدة الإنسانية وحق الإنسان، وتحقيق أسباب تقدمه وصلاحه ورفاهه، إلا أن ما يرشح من خلفيات ومن توصيات ومن أوراق، تطرح في مثل هذه المؤتمرات، ويروج لها إعلامياً على المستوى العالمي والمحلي والإقليمي، يجعل المرء يتوقف لحظات ولحظات، للمراجعة والتأمل، خصوصاً أن الذين يدفعون من الخلف في

هذا السبيل لا يُطمأن كثيراً إلى نواياهم، ولا يُرتاح بأي شكل من الأشكال إلى نزاهة مكاييلهم..!

وحتى لا أنطلق من فراغ، أدع قلمي يطرح بعض التساؤلات البريئة، وذلك للاستيضاح، ثم للتوضيح والبرهان. فلا يؤاخذاني من تحمى أنوفهم من أصحاب الأهداف الخلفية، المختبئة خلف العناوين الإعلامية الفخمة. ولا يؤاخذني في الوقت نفسه إعلاميون إسلاميون، دفعهم الإخلاص لدينهم وأمتهم إلى التعلق ولو بقشة هشة، لإنقاذ الغريق من الحومة اللجبة المحيطة بشعوبنا، حتى ولو كانت القشة تحمل في ظاهرها الخلاص، ويكمن من قبلها العذاب. ولنعد إلى الأسئلة:

١- لماذا الآن بالذات..؟. ونحن نرى ما نرى من ضعف وتفكك يجتاح العالم الإسلامي كله!

٢- لماذا يستبعد من هذه المؤتمرات رجال ومفكرو ومثقفو الحركات الإسلامية في الغالب الأعم.

٣- لماذا يحضر هذه المؤتمرات الرسميون دائماً أو القريبون منهم والمستقلون جداً فقط؟

٤- لماذا تنعقد هذه المؤتمرات في ظل قرار حلف الأطلنطي الذي قال: إن دول الحلف (وهي تضم كل دول الغرب) تنظر إلى الإسلام على أنه خطر يتهددها.

٥- ثم لماذا وسياسات أمم الغرب كلها تنحاز انحيازاً أعمى إلى كل ما فيه عداء للإسلام وأمته؟!.

٦- ولماذا هذه التوصيات التي لا تتعدى قشرة قضية «الإسلام والغرب»، ولا تدخل إلى عمق الحقائق والممارسات الغربية والصهيونية؟! بل تبقى القضية في حدود الهواجس الأمنية ولا تدخل إلى عمق التحقق الإنساني بالإيمان والقيم العالية.

وهناك أسئلة وأسئلة يمكن طرحها، وهي تزيد من الأضواء، التي توضح الحقائق، وتجعل الإعلامي الإسلامي يمسك برأسه بكلتا يديه..! رغم أنه دائماً مع الحوار الصادق العميق الهادف.

لكن هناك مؤتمرات عن مواضيع تتعلق بالحراك الإسلامي، تحمل جدية في الدراسة وفي عرض الآراء عن الحركات الإسلامية ومسيرتها وعلاقتها بالآخر، ومن هذه المؤتمرات مؤتمر عقد في عَمّان- الأردن بتاريخ ١٧- ١٨/ ١١/ ٢٠١٣م تحت عنوان/ حركات الإسلام السياسي في الوطن العربي/ التحديات والآفاق/

دعا إليه مركز دراسات الشرق الأوسط، وقد حضره عدد كبير من قيادات ومفكري الأمة من الرجال ذوي العلاقة والخبرة والنصيحة. فمثل هذه المؤتمرات هي التي يمكن أن يثق المسلم بمقولات حضورها واعتماد نصائحها. وأضرب مثلاً على ذلك كلمة مميزة للسيد طاهر المصري رئيس الوزراء الأسبق في الأردن اقتبس بعضاً من جملها المفيدة البليغة قال فيها:

- الإسلام هو الإسلام بكل تعابيره الدينية والاقتصادية والسياسية.. أرفض مصطلح الإسلام السياسي.
- أدعو إلى مراجعة الحركات للمنهج والمنهاج لاستقطاب الآخر.
- أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تقم على أرضكم.

- الإسلام دين ودولة في إطار الزمان والمكان واستيعاب المستجدات.

فهذه كلمات كانت مدخلاً لتحليلات تفصيلية عن الحركات الإسلامية المعاصرة؛ مواقع الخطأ والصواب في المسيرة ثم تقديم النصائح والتعديلات التصحيحية من أجل إنجاح خط السير والوصول إلى الأهداف.

إن مثل هذا المؤتمر.. يمكن أن يعتد به، ويوثق بمخرجاته لصنع حراك ناجح وإعلام صادق، عندما يتكلم عن منجزات يصدرها ويقترح الانتباه لها بعيداً عن مؤتمرات تعقد، فيها من التضليل الإعلامي والفكري والسياسي الكثير الكثير، مما يؤشر بصراحة إلى النوايا التي تختبئ خلف العناوين المدوية، فالمخرجات التي تسطر في نهاية تلك المؤتمرات متخمة بالإدانات لحراك الإسلام المعاصر، مزدحمة بالتوصيات المشبوهة، مما يشي للمتابع بأن تلك المؤتمرات ما هي إلا بوصلة للأعداء، تدلهم على الثغرات التي تمكنهم من اختراق صفوف الأمة. بلا عوائق، وبلا تكاليف عالية، من خلال متكآت من البشر، يُرتب أمرها، ويُعْلى من شأنها، ويُخدم مقامها وقاماتها، خدمة مصنوعة، ينفق عليها من رصيد الإعلام والسياسة والمال، ما يجعلها ملء العين وملء السمع، فلا تنزل كلماتها وما تطرحه من آراء وأفكار على الأرض، إذ تتلقفها وسائل الإعلام بحضورها المتنوع، لتجعلها مدار الحديث والأخذ والرد والتجاذب في مجتمعات النخب المعدة مسبقاً لهذه الغاية المعادية المناصبة للأمة في شتى الميادين.

٥- مضمون إعلامي غربي هجومي ومقترحات

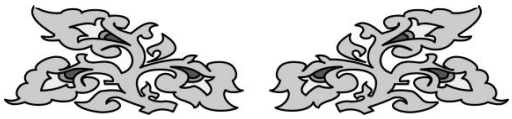

وإن التقليد غير المنضبط بخصوصية الأمة ومصلحتها العليا مؤد إلى الهوان ثم الضياع، ونقول بهذا الشأن:

تقترب المجتمعات الإسلامية المعاصرة من حدود الانكشاف، أمام مضامين الخطاب الإعلامي الغربي، الهادف إلى دفن هويّة هذه المجتمعات، التي تمرّ بمرحلة خطيرة، تكاد تفقد فيها خطوط دفاعها، وميزات وجودها، ورغم أن هناك ركاماً ضخماً من البث الإعلامي العربي والإسلامي، فإن هذا الضخ الكثيف، والأعداد الهائلة من الفضائيات والمحليات، لا تملك بمجموعها منهاجاً ثقافياً محدداً، يحمل خطوطاً منهجية، تستطيع الوقوف في الواجهة، على خط النار الأول من معركة هذه الأمة الإعلامية والثقافية والخصوصية.

إن هذا الإعلام في واقعه العملياتي يأتي مخالفاً لما يجب أن يكونه، من محاولة إقناع المشاهد أو السامع أو القارئ بأنه إعلام مكافح في سبيل رفع مكانة هذه الأمة وإثبات هويتها.

وإن المراقب العادي، يستطيع أن يكتشف بسهولة مدى سقوط هذا الإعلام في التقليد، وتلبس روح الإعلام الآخر، في حين أنه يدّعي الوقوف له بالمرصاد، ليردّ هجمته الهادفة إلى احتلال لغة الأمة ثقافتها وهويتها وتزييف وعيها.

وفي هذه العجالة سوف نضرب مثلاً واقعياً واحداً على ما قلناه، نبرهن فيه على صحة هذه المقاربة التي أوردناها، ثم نمضي بعدها إلى تقديم بعض المقترحات، لعلها تكون سبيلاً قويماً وفاعلاً للوصول إلى الغاية النهائية، المتمثلة بالحفاظ على استقلالية الأمة وصلاحها أولاً، ومن ثم الانتقال إلى التأثير في الغير، لإصلاح أهدافه وبناء حياة صالحة تتعايش مع الآخر على الأرض، وهذا هو بيت القصيد، الذي كان هدف وغاية الأنبياء والدعاة من دعوتهم على مرّ العصور، واضعين نصب أعينهم رضوان الله، ثم سعادة هذا الإنسان وإنقاذه من براثن الضياع، التي قادته إليها حضارة الالتصاق بالمادة والسوق والآلة، بعيداً عن القيمة والأخلاق.

هذا المثل الذي سنضربه هو: المنهج الإعلامي الهجومي الغربي، الذي يهدف إلى تزييف الحقيقة، وذلك بإقناع أهل الأرض جميعاً بالفكرة الغائية للمنطق القائل: إن الغربي هو الإنسان الوحيد المتحضر المنطقي، ذو الحس المرهف، والذوق الرفيع، والذي يكاد قلبه يقع من بين جنبيه، شفقة وعطفاً على إنسان العالم الآخر غير الغربي، لإنقاذه من التخلف؛ وباختصار: «الإنسان الغربي، هو الإنسان النموذج في كل شيء، وهو القدوة للجميع».

ثم لنرى كيف يتصرف إعلامنا تجاه هذا المنهج وهذه الغائية، التي تحمل كثيراً من الضلال وقليلاً من الهدى.

إننا إذا رجعنا إلى إعلامنا، داخل العالمين العربي والإسلامي، وجدنا أن الكثير الكثير من البثّ يمضي قدماً وبدون تردد في تأييد مثل هذه المقولة، وذلك من خلال الفوضى السائدة فيه، التي تساعد على الاقتناع بتلك الفكرة التي ذكرناها، ولسوف نرى برهاناً على قولنا هذا في المظاهر التالية:

أولاً: الاستغراق بالقطرية، وتمسك كل وسيلة من وسائل الإعلام بقطريتها، وتفخيم هذه القطرية، التي تبعد خطابها عن التنسيق ووضع برامج موحدة، تتضمن الحدّ الأدنى من المشتركات، ومن عناصر الافتخار بالأمة ككل، وإبراز ميزات كثيرة ما زالت شعوب أمتنا تتميز بها عن باقي الشعوب.. بدلاً من البحث الكثيف عن تميّز القطريات بتاريخ وثني، فقد بنت حضارتنا العربية الإسلامية حضورها وسيادتها في العالم، على مدى قرون، فوق جَدَث تلك القطريات البائدة.. التي تحاول وسائل الإعلام القطرية ببثها الكثيف أن تنشر كثيراً من الضباب حول المشتركات الفخمة لتاريخنا المجيد، وحول عناصر الخير المذخورة فينا كأمة حتى اليوم، وذلك مما يضعف الحسّ بشخصية الأمة وهويتها أمام هجمة تلك المقولة الغربية.

وثانياً: تمحور كثير من الخطاب في العديد من وسائل إعلامنا حول تأييد كل شيء في القطر، من السياسات الداخلية والخارجية، سواء كانت تلك السياسات اقتصادية أو اجتماعية أو سياسات عامّة، تتعلق بالحريات والحياة وحقوق الإنسان، وذلك دون أن يقدم هذا الإعلام صيغة انتقائية تميّز بين الغثّ والسمين في هذه السياسات، وأكبر مثل على هذا الخطاب الإعلامي المنتشر بكثافة في وسائل إعلامنا العربية والإسلامية، ما يدندن حوله إعلام النظام السوري، الذي يزيّن للداخل والخارج كل تصرفات الرسميين وسياساتهم، فلا يستثني من خطابه تمجيد صيغ الإجرام الرسمي، بل يبرزه على أنه محاربة للإرهاب، كما أنه لا يتوانى لحظة عن وصف سياسة القمع الرسمي المستشري وتكميم الأفواه بأنه تطبيق للقانون، ضدّ المخالفين له من أصحاب الرأي وأهل الكلمة والقلم، الذين زُجوا بالمئات في سجون النظام وأقبية جلاديه، وذلك بسبب الرأي والكلمة. وهكذا فأنت ترى أن

سياسة إعلامية على هذه الشاكلة، تستدعي من الناس مع مرور الزمن وكثافة البثّ، البحث عن وسائل نجاة، واللجوء إلى ما عند الآخر، كما تُدخل في روع الأمة شعوراً بالنقص يتفاقم شيئاً فشيئاً، إلى أن تفقد بسبب ظلامية هذا الخطاب الإعلامي كل عناصر الدفاع المذخورة في العقول والقلوب، وتصبح الأمة مهيّأة لاستقبال الغزو، الذي تحمله تلك المقولة الغربية الخطيرة.

وثالثاً: إن فقد غالبية وسائل الإعلام الرسمية وغير الرسمية للهدف والخطة (طبعاً ما عدا هدف تأييد الرسميين وتزيين كل ما يصدر عنهم)، يشكل عاملاً مهماً جداً في توجه الشعوب إلى الوسائل الأخرى، التي تحمل الهدف والخطة والوسائل العصرية الخارقة، والكثافة غير العادية، سواء كانت هذه الكثافة بالوسائل أو بنوعية وتقدم الخطاب والبث. إن ما يدلّ على صحة قولنا هذا هو: أن نلقي نظرة سريعة على الكثير من الفضائيات العربية الخاصة وشبه الرسمية، لنرى العجب العجاب من البثّ العشوائي الذي يحارب القيمة والشرف والأخلاق والذوق السويّ، ويبحر بالشباب، وهم عدّة الأمة ومستقبلها، إلى حيث الفراغ والتفاهة وإهمال قضاياها، وما تحتاجه من نظرات ثاقبة، تخرجها من الطريق غير السوي الذي يقودها إليه هذا الإعلام المجرم، وأشدّ ما يؤلمك في هذا المشهد الفضائي، الكمّ الهائل من الفضائيات، التي تعيد وتكرر نفسها ليل نهار بالرقص والغناء الماجن والفضائح، والأفلام الهابطة والمسلسلات المحشوّة بالتفاهة، والدراما الأجنبية العنيفة، والمحاربة الصريحة للغة الأمة، بالاعتداء على جمالها وذوقها الرفيع، بتلك الرقاعة من العامية الركيكة، التي يستحيي الإنسان من سماعها، بل ويرثي لهؤلاء الببغاوات من الذين يسمّون أنفسهم إعلاميين، وهم يتكلمون بها، ويفتضحون لأنهم يرددون هذه القباحات، فإذا أضفنا إلى ذلك الوقت الهائل الذي يُعطى للبثّ

الدعائي، وتزيين أساليب وطرق حياة الغربي اليومية، والدعاية الحميمة للعادات الغربية؛ في اللباس، والزينة، و«الإتكيت»، والطعام، والشراب، والنوم، والسكن، والتسلية، وتمضية أوقات الفراغ، ووصولاً إلى تحسين الصرعات الغربية؛ مثل احتفالات ملكات الجمال، ودورات الكرة، ومهرجانات الغناء، إلى آخر ما هنالك من أمور وصرعات وعادات. أقول: إذا أضفنا هذا إلى ذلك.. علمنا لماذا هذا التدهور المستمر في إدارة حياتنا، كما علمنا المزيد من أسباب انهيار جدران المقاومة عند الشعوب، وأسباب المزيد من حالات الضياع والتيه.

ورابعاً: ولا بدّ لنا هنا من وقفة أمل، حين نرى ضعف الحضور الفضائي الإسلامي الملتزم، وهذا الأمل لا بدّ له ليترعرع، فيتبرعم، ويورق، ويزهر، ثم يثمر، من مراجعات وتصويبات، حتى تتشكل في أرجائه أجنة الانطلاق نحو الاستحواذ على الخطاب المؤثر بقدر كبير من التأثير، وانطلاقاً من هذا وبناءً عليه وعلى الأمل الذي يراودنا، ويصنع فينا الطموح نحو التقدم، نقول:

١- يجب اعتماد الهدف والخطط المحكمة لكل وسيلة بوضوح وتوجه خيّر.

٢- يجب الابتعاد عن تبني النهج الرسمي في سياسات الوسائل الإسلامية (نستثني هنا ما يفيد الإسلام والمسلمين وإنقاذ الأمة).

٣- يجب الابتعاد عن صيغة الإعلام الجهويّ والحزبيّ والطائفيّ.

٤- يجب أن تكون هناك مدارس للتدريب، لها خصوصياتها وهويتها.

٥- اعتماد الفصحى السهلة في كل شيء.

٦- فتح الأبواب للطاقات الشابّة النافعة.

٧- الابتعاد عن الشللية والفئوية والمحسوبية في اعتماد الكوادر.

٨- تجميع القوى المبعثرة للوسائل الإسلامية، وتكثيف التنسيق بينها، بحيث تخرج من التكرار أو التضادّ، أو التنافس غير الشريف.

٩- من أجل تجميع القوى يجب أن يكون هناك مؤتمرات سنوية أو نصف سنوية للإعلاميين العرب والإسلاميين الملتزمين بأهداف وطموحات الأمة، تُدرس فيها الخطط والأهداف والإنجازات والهنات ووسائل التصحيح. ويشكل المؤتمر هيئة متابعة وتنفيذ عندها الصلاحيات والإمكانيات الفاعلة.

١٠- التقليل من البرامج المباشرة ووسائل التلقين، وذلك بالبحث عن الدخول في عالم الأدب والدراما الهادفة والمسرح الهادف، فإن الأفكار، وصيغ التغيير أكثر ما تُتبنى من خلال العمل الدرامي والمسرحي الناجحين المؤثرين.. خصوصاً وأن المباشرة والتلقين أوقعا الفضائيات العربية والإسلامية في التكرار المملّ للأشخاص والأفكار.. بينما إذا بحثنا وصممنا على إدخال الدراما والمسرح بشكل مناسب في البرامج، فضلاً عن برامج الحوار المبدعة في طرائق عرضها، وإدارة جلساتها، وتنوع وثراء موضوعاتها، وقربها من هموم الناس وقضايا الساعة، وبعيداً عن الحيادية القاتلة فنحن أصحاب مشروع هادف لإعادة الأمة إلى مكانها ومكانتها، فلا نريد تزجية الأوقات بحوار لا يخرج أحد منه بفائدة أقول: إذا فعلنا ذلك نكون قد دخلنا بالإعلام الملتزم الهادف إلى حيّز التأثير القوي، وإلى مجال التغيير المنشود في مسيرة الأمة، وصدق لقمان إذ قال: كذب من قال إن الشرّ يطفئ الشرّ، فإنه إن كان صادقاً فيوقد ناراً إلى جنب نار، وإلا فإن القول الحق: إن الخير يطفئ الشرّ، كما يطفئ الماء النار.

١١- ومن أجل أن تكون المصداقية رفيقة هذا الإعلام، يجب أن يتعامل مع طروحات الآخر بانتقائية، وليس بروح الرفض المطلق.. فكم من خير في التقنيات والوسائل والآليات وحتى في الأفكار أحياناً، يمكننا أن نقدم من خلالها مع تطويرها وتطويعها إضافات جاذبة مبدعة مؤثرة إلى أبعد الحدود.

هذا ما استطعنا إحصاءه.. وقد يكون هناك كلام كثير في هذا المجال.. فإلى سطور أخرى يلهم الله فيها الصواب.. ويكتب فيها النفع.. ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة.. تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.. الذي منه التوفيق وعليه التكلان.. وهو الهادي إلى الحق.

٦- الشعار والحقيقة..!

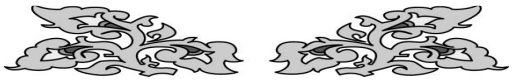

لا يكل الغربيون من الصراخ والنداء بالديمقراطية، وإعلامهم يبث بكثافة غير معقولة مقولات حث الآخرين للأخذ بالديمقراطية، وكذلك توجيه اللوم للعالم الثالث، لعدم التزامه بمبادئ الديمقراطية، كما يفهمها الغربيون ويطبقونها. وهم ينطلقون في إعلامهم من هذه النقطة ليصلوا إلى الهجوم على الأمة وإسلام الأمة، ومن ثم ليطلقوا النار على الإسلام؛ الهدف الأساسي لكل الحملات الشعواء. وذلك الصراخ الهجين الذي اختلطت دماؤه، ما بين صهيونية وصليبية متصهينة، ساعية جميعها إلى تزييف الوعي وتضليل المجتمعات، وتحقيق الهيمنة.

فقد نقل معلق صحيفة نيويورك تايمز (وليم سافير) عام ١٩٨٠ عن ريغان مرشح الرئاسة في أمريكا قوله في مجموعة من قادة يهود: «إسرائيل الديمقراطية الثابتة الوحيدة التي يمكن أن نعتمد عليها في الواقع لحدوث هرمجون».

ويتحرك إعلام هؤلاء زاحفاً بتوغل خلف مؤتمراتهم وندواتهم، التي يعقدونها لدراسة منطقتنا، فتراه يتساءل دائماً في نهاية كل مؤتمر: «هل المد الإسلامي هو أحد عوامل زعزعة الأمن والاستقرار للمنطقة ولأوروبا»؟

كما يتساءل بخبث من خلال مظهر برئ، يحاول المشاركون الغربيون من إعلاميين وسياسيين ومفكرين إضفاءه عليه، فيقولون: لماذا يعادي العالم الإسلامي الديمقراطية؟ أيكون الإسلام هو السبب؟!.

إنها أصوات تتردد بدون كلل، فتطلق كل هذه الكثافة من التساؤلات، التي تنم كلماتها عن أهدافها، وهم يكتفون من عرضها على المشاهدين، من خلال الصور الساحرة الجاذبة، والقصة الترفيهية، التي تأسر الأفئدة، وتجذب الأسماع والأبصار، وتسرق الأوقات ابتغاء الإقناع، بل والتطبيق الميداني اليومي، الذي نراه ماثلاً بشكل لا يصدق في الهيمنة على البث كل لحظة، والمتابعون يتابعونها بشغف وبلاهة، تؤديان إلى الببغائية الكاسحة التي تتعرض لها سلوكيات الناس خصوصاً في التصرف الاستهلاكي القاتل، الذي لا يجد الإنسان العربي المسلم الوقت المتوفر لإعادة النظر فيه أو التدبر أو المراجعة، كما أننا نراه ماثلاً في تلك الهزيمة الفكرية وذلك الانبهار المؤدي إلى الخنوع الأعمى لكل المستوردات، وهما مرضان ينخران في كثير من طبقات النخبة الفكرية والثقافية في أمتنا.

تُرى أين مكان الديمقراطية الشعار، من حقيقة سلوك أصحاب هذا الشعار الإعلامي الاستعراضي، ذو البث الذي يدور بالرؤوس ويفتل العقول؟!.

تُراه قابع في ذلك (الصبر الديمقراطي)! الأوروبي الطويل أثناء مجازر الصرب في البوسنة والهرسك من قبل وكوسوفومن بعد، ذلك لإتاحة الوقت والفرصة لهم حتى يجهزوا على الفريسة المسلمة؟! أم هو كائن في ذلك الاعتراف والرضا والدعم للاغتصاب الصهيوني لأرض ووطن كان من زمن قريب- عاشه كل حي من أصحاب ذلك البث الإعلامي الكثيف- ملكاً لشعبه الأصيل، الذي امتدت حياته فوق ثراه مدة لا تقل عن خمسة ألاف عام.

أم هو مخزون في هذه الهمهمات الغربية غير المفهومة، التي يسمونها (اعتراض على مشروع الصهاينة المسمى (القدس الكبرى) أم أنه متمثل في غض النظر، وتشجيع معظم حكام العالم الإسلامي العسكريين، الذين اغتصبوا السلطة في

بلادهم، ووضعوا البلاد والعباد في ظروف الحكم الفردي، الذي لا يعطي لأحد من المسلمين حرية ولا رأياً ولا مشاركة في صنع القرار، ويعبث في البلاد قتلاً وتشريداً ونهباً، دون أن يرقبوا في المسلمين إلا ولا ذمة.

أم تراه فزع إلى ذلك التعامل التمييزي العنصري، الذي تتعامل به مجتمعات الإعلان الإعلامي (الديمقراطي الكثيف)! مع الأقليات المسلمة التي تعيش بين ظهرانيها، فتطارد عناصر هذه الأقليات تحت حجة مكافحة الإرهاب تارة، أو تحت حجة تشويه العلمانية بسبب لباس المرأة المسلمة المحتشمة تارة أخرى.

ولو أن الديمقراطية المدعاة التي ينادي بها إعلام هؤلاء نطقت لتبرأت من سدنة لا يخدمون إلا أنانيتهم، وحق لها أن تتبرأ، فقد شاهت الوجوه، وزالت الأقنعة عنها نهائياً، عندما نطقت بالفرح والتأييد لسحق الإسلاميين في الجزائر بعد فوزهم في صناديق الإقتراع.

ولو أردنا أن نتابع تعداد الأمثلة لما انتهينا من صور المفارقات الفاضحة، بين الشعار والحقيقة التي اتسمت به ديمقراطية شعارية وحسب، متسترة، ببث دعائي مريب، يكيل الرأي في كل حديث بمكيال مختلف، يخدم مصالحهم وممارساتهم ولو خالفت كل المبادئ والقيم.

وقد جاءت مواقفهم وتلكؤهم وترددهم المريب فاضحاً إزاء المجازر التي ارتكبها المتسلطون في سورية؛ إذ هدموا البلاد وقتلوا العباد وشردوا معظمهم، وخربوا كل شيء، كما جاءت تلك المواقف باهتة مداهنة رمادية مخاتلة ممزوجة بالخداع وبالتآمر على مصر وشعبها والتغيير الإيجابي الذي حصل فيها منذ ٢٥ كانون الثاني (يناير).. حيث وقف أصحاب شعارات الديمقراطية التي أطلت على

مصر من نافذة حكم مدني صوت له ونفذ في ٣٠ حزيران (يونيو) ٢٠١٢ في أقاليم مصر كلها.

لقد راح الإعلام في الغرب يطل على ساحتي سورية ومصر بكلام معادٍ حيناً، وبخطاب موارب يميل إلى التشكيك بالإسلاميين حيناً آخر، ناعتاً لكثير منهم بالتطرف والإرهاب، متواطئاً مع أعداء الحرية والديمقراطية وكرامة الشعوب ومصالح الأوطان، ممن هم غرباء عن الأمة، يسيرون بها بسيرة البطش وبمنهج إبعادها عن أصالتها ودينها ولغتها الفذة. أولئك الذين انقضوا على ثوراتها الفذة على حين غرة، جند والها اللصوص والقتلة والعملاء بلا هوادة.

المبحث الثالث

نصائح للإعلام الإسلامي

١ - الصبر عدة الدعاة والإعلاميين

٢ - الإعلام والنصيحة

٣ - لو كان تحول الموهوبون إلى إعلاميين إسلاميين

٤ - التلفاز والطفل

٥ - الحاجة ماسة إلى رجل كالإمام البنا

٦ - إشارات سلوكية وفكرية

٧ - الخطاب الإعلامي الإسلامي.. ورضى الآخر

٨ - لماذا الإعلام؟

٩ - الرد على حملة إعلامية غير قويمة

١٠ - التجمع لنصرة الحق والحقيقة

١١ - لنكن شركاء

١- الصبر عدة الدعاة

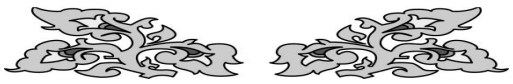

الصبر عدة الدعاة[١]

قال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم: ٦٠].

إن الدخول في صف الحركة والدعوة لتحكيم شرع الله في حياة الناس ابتداء بالعقيدة وانتهاءً بالحكم والسياسة ومروراً بالسلوك اليومي، يرتب على الداعية مهام ثقيلة ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴾ [المزَّمل: ٥]. ولقد أثبتت التجربة الإيمانية على مدى الأزمان أن صف الهدى وصف الضلال مفترقان لا يلتقيان أبداً، وأن صف الضلال والانحراف لا بد أنه موجه بدون تردد جميع أنواع الكيد والحرب ضد صف الإيمان والهدى، ولا أدل على ذلك مما تواجهه الحركة الإسلامية اليوم من جميع أسباب الكيد بدءاً بالإيذاء في الرزق وهو أهون مظاهر الكيد، وانتهاءً بالإقصاء والاستئصال، ومروراً بأشد ما تواجهه الدعوة في هذه الأيام من أساليب الإقصاء المعنوي (الإرجاف والاستخفاف والتشكيك)، تلك الأساليب التي يراد لها زعزعة يقين المؤمنين بوعد الله أولاً، ثم بما يدعون الناس إليه ثانياً، وهذان الهدفان اللذان يسعى لتحقيقهما الذين ﴿لَا يُوقِنُونَ ﴾ هما من أشد الأساليب في محاربة

(١) من مجلة رسالة الإخوان (لندن) عدد ١٧٤ تاريخ ١/ ٢/ ٢٠٠٠.

الدعاة، بل إنهما يشكلان- على امتداد العصور- أشرس وسائل الحرب في مواجهة الصف الإيماني.

لذلك كان الصبر على موعود الله، واليقين الراسخ رسوخ الجبال بنصره للمؤمنين في نهاية المطاف، ثم الإعراض عن كل وسائل التشكيك والاستخفاف والتيئيس لمسيرة الدعاة والهزء بالأشكال والخطط والمبادئ والوسائل، كان هذا الصبر أهم عدة يلتجئ إلى كنفها الداعية، لحماية يقينه، وتثبيت قدميه، والمضي بإصرار وعزم وقوة على الطريق، بل ولامتلاك ناصية الاستعلاء على ذلك الغثاء الذي يلقيه ﴿الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ في طريق حركته.

إن الذي يراجع صحافة العرب والمسلمين اليوم، لا يكاد يجد صحيفة تخلو من أسلوب من أساليب الاستخفاف أو اللوم أو السخرية، تواجه به الدعوة الوسطية المتحركة على درب الله، إذ يعمم كتابها من غير الموقنين تقييم الحركة الإسلامية بخبث أو سذاجة، محتجين في تقييمهم المشبوه بأفعال لحركات معزولة، لقلة من الناس، أمضّتهم طول الطريق وكثرة الأذى ووحشية غير مسبوقة من بعض المتسلطين، يصرون على أنهم يواجهون بها الإرهاب وأهله، بينما هم في الحقيقة والحق الإرهابيون الحقيقيون المغتصبون لمراكزهم ومواقعهم، المازجون مزجاً قبيحاً بين الوطن وكراسيهم ومناصبهم.

ويدعم هذا الزخم الصحفي، زخم آخر، استفاد من تقنيات الاتصال كالتلفاز الأرضي والفضائي والانترنت. وإنك لتجد أولي الأمر في تلك الوسائل يجمعون الناس في حلقات حوار ونقاش، يختارون فيها المحاورين والمداخلات على هواهم فلا تصل في النهاية إلى نتيجة مفيدة، بل كل الذي ينتج عنها في الغالب الأعم ألقاء الشكوك، وتمجيد الباطل، وفتح البوابات لفكر الضلال والانحراف، ليعتلي

صهوات الأثير، وليذرّ في الوجوه بذور الشك والهزء والسخرية من برامج ومبادئ ومسيرة الحركة الإسلامية، مبتغياً من وراء ذلك إلقاء سحب كثيفة من المعميات والتضليل في وجهها، ظاناً أنه سوف يقلل قدر المستطاع من إقبال الناس عليها وعلى الإسلام، حيث يرى ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ أن هذه الدعوة راحت تستقطب بإذن الله أبناء هذه الأمة، رغم كل الدعاوى العريضة الباطلة، التي يتحمل هؤلاء تكاليفها المادية في صورة صد كبير عن سبيل الله بعلم منهم أو بجهل.

إن الصمود في وجه كل ذلك الزخم هو قضية الداعية المسلم–الإعلامي وغير الإعلامي–، ومن أجل ذلك كان الأمر بالصبر:﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾، وكان النهي: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾، وقد جاء تأكيد الله عز وجل للصبر في مواطن كثيرة في القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[آل عمران: ٢٠٠] لأنه أهم سبب من أسباب الفوز والفلاح.

وهذا الصبر المأمور به تتجلى صور حاجته في كل خطوة من حياة الداعية المؤمن؛ فهو مأمول في مصارعة الهوى النفسي، ومطلوب في مدافعة الخواطر الذاتية، ومسؤول عن مقارعة أسباب النفس الداعية إلى نزول الهمة، ومرجو في ساحات الوغى الإعلامية والأقلام الناضجة والمهنية العالية، وكذلك الحركية كل لحظة ولمحة.. وهو مطلوب ومطلوب...في السراء والضراء وحين البأس ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِئَايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[السجدة: ٢٤] والمؤمن في هذا كله يضع حديث رسول الله ﷺ الذي ورد في الصحيح نصب عينيه

في هذه الحياة، إنه الحديث المروي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إذ قال: «قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل...» **وإن الدواء في جميع الحالات الصبر. الصبر على لأواء الكلمة الصادقة الناضجة والصبر على لأواء الحركة.**

٢- الإعلام والنصيحة

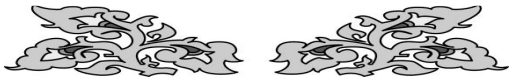

قال تعالى: ﴿... وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] وهذه أوامر ربانية وتوجيه.

يقول الإمام الشهيد حسن البنا في إحدى رسائله: «... اختلاف البيئات، واختلاف الاطمئنان القلبي إلى الرواية، واختلاف تقدير الدلالات، كل هذه الأسباب جعلت الاجتماع على أمر واحد من فروع الدين مطلب مستحيل، بل هو يتنافى مع طبيعة هذا الدين» فكيف إذا كان الأمر ملتبس بخلاف حول موقف سياسي من قضية شائكة..؟

ويقول الأستاذ مصطفى الطحان الداعية الإسلامي في كتابه شخصية المسلم المعاصر صفحة (٣٥)، موجهاً كلامه للداعية المسلم: «جرّب أن تصمت عندما تشتد لديك شهوة الكلام، واحسب ما توفره من جهدك ووقتك وجهد وقت الآخرين، واستبدل ذلك بفكرة تنضجها أو بذكرٍ تناجي به ربك وترطب به لسانك، وتحسس قلبك بعد ذلك، فستجده راضياً مطمئناً ذاكراً شاكراً» وأقول موضحا: إن ذلك خيرٌ لك أخي المسلم الكاتب والداعية والصحفي والمفكر من أن تتدخل في تحليل مواقف لإخوانك في قضايا تعنيهم وتهمهم وأنت بعيد عنها لا تعرف كثيراً عن مدخلاتها ومخرجاتها، وهم أولى بفهمها ومعرفة مراميها وأهدافها وأبعادها ومآلاتها أكثر منك، لأنهم يعانون أوضاعها وآلامها وتفاصيلها يومياً، بينما أنت تتكلم فيها وأنت بعيدٌ عنها، أو على الأكثر تظن فيها الظنون، وتقترف فيها القول بناءً على مقدمات ومصالح لديك بعيدة عن واقع الأمر ومآلاته

ودهاليزه وفهم مراميه، وخير لك أن تدعو بما دعا به المؤمنون الأولون بقولهم: ﴿... وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾. فإن قلت: إنما هي النصيحة أقدمها لإخواني، فإنك تعلم أن النصيحة لا تكون بالفضيحة على سواد الصحف أو على الشاشات الصغيرة. فإنّ ذلك حينئذٍ مدعاة للردِّ عليك ممن هم أعلم منك وأكثر وعياً للقضية التي تريد أن تقدم نصيحتك فيها، ولو أردت النصح حقاً كان لزاماً عليك أن تعود إلى شروط النصيحة في الإسلام، التي أولها أن تقدم النصيحة لصاحب الشأن بدون إعلان، حتى لا تكون تشهيراً، وتتحول حينئذٍ إلى مهاترات بين القول والقولِ الردّ، ليصبح الأمر مراءً، ويدخل المسلمون فيما بينهم في حبائل الإعلام الشيطانية، وقد قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان قد يئِس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكنه لم ييأس من التحريش بينهم» رواه مسلم، نعم، «الدين النصيحة» وهي: «لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»، ولكنها لا تكون بالكتابة في الصحف، أو بالخطاب في وسائل الإعلام، لأنها حينئذٍ تتحول إلى تشهير كما قلنا آنفاً، والتشهير يقتضي الردَّ، والردَّ يجلب الردّ، وهكذا يخسر المسلم بذلك إخوانه ولا يأخذون بنصيحته، ولو أنه قام بها حسب شروطها الشرعية لوجد الجواب الصافي والوافي عند إخوانه. وحينئذ قد يجد نفسه على خطأ فيما ذهب إليه، وقد يجد نفسه قد ظنَّ ظنَّ السوء بإخوانه، وبنى على مقدمات خاطئة ليصل إلى مآلات غير سديدة، وإلى نتائج لا نفع منها ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا﴾ [النجم: ٢٨]. إنَّ اتباع الهدي القرآني والسلوك النبوي في القضايا العالقة بين المؤمنين هو الذي يقود إلى سبيل النجاة، وهو الذي يجلب تمتين الحب والود بين الإخوان، فهل يلتزم بعض كتّاب المسلمين بذلك في تناولهم لبعض مواقف إخوانهم في سورية وفي غيرها، فلا يقفوا في صفٍّ أنظمة استهلكت، بحجة إدعائها أنها تقف

ضدَّ أمريكا، إذ ليس كلُّ مُدَّعٍ صادقاً في إدعائه، وليس الوقوف ضدَّ أمريكا يبرر الاصطفاف إلى جانب نظامٍ أزهق أرواح شعبه بمئات الآلاف، وهدم مدنه، وحطّم اقتصاده، وألحقه بقافلة الفقر بعد العزِّ والغنى، خصوصاً وأنَّ المختلف عليه بين المسلمين لا يتعدى قضايا سياسية لا تمسُّ العقيدة وثوابتها، إنما هي قضايا اجتهادية، صاحب القضية أدرى بشعابها وتفرعاتها، وليترك الكاتب المسلم لصاحب القضية بالذات أن يتصرف بموقفه حسبما يراه مناسباً، وهو يتحمل المسؤولية عن تصرفه، وإذا كان هذا الكاتب يرضى لنفسه ومجموعته أن يتحالف أو يدخل بتوافقات مع مجموعات سياسية رآها مناسبةً له، وهو أدرى بمصلحته فيها، وأعلم بتفاصيلها ودهاليزها وأبعادها، فليرض لغيره من المسلمين أن يقفوا الموقف المناسب لوضعهم وقضيتهم، وقد قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا» رواه مسلم، فإذا كان عنده نصيحة، أو كلام في توجه لأخيه يراه من وجهة نظره غير سديد، ويريد أن يقدِّم فيه الرأي، فليطلب اللقاء مع أصحاب الشأن، ويقدِّم لهم ما يريد أن يقدِّمه، وليسمع ردَّهم وتوضيحهم، ثمَّ ليقف عند ذلك، وإلا فكلٌّ منّا عنده قول فيما يفعله الآخرون من المسلمين، ولكننا لا نريد أن يتحول الأمر إلى مهاترات، تستغل فيها بعض الصحف الإسلامية إمكانات الوصول إلى الناس لبيان وجهة نظر بعينٍ واحدة، أو طرح رأيٍ يقف على ساقٍ واحدة، حادينا في التوقف عن الكلام والرد- ونحن مقتدرون عليه – التزامنا بقول رسول الله ﷺ: «... وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح، ونعني بذلك كثرة الأخذ والردّ في القضايا التي لا يفقه فيها المرء كثيراً، ولا يعرف مخرجاتها ومدخلاتها بدقة، وتكلمه فيها بغير هذا العلم وكثرة السؤال والكلام عنها في الإعلام يجلب الهمّ والفشل للجميع، ومن ثمَّ يؤدي إلى الشحناء والبغضاء وفوضى العلاقات.

وجماع الأمر والقول في هذا الموضوع المطروح حالياً هو أن يتواضع كلُّ صاحب قلمٍ من الإخوان، ولا يدّعي أنه ابن بجدة التاريخ والسياسة والفهم في الأمور والمواقف التي يجب أن يتخذها إخوانه، بل فليقتنع أنه يكتب ما يكتب تحليلاً ورأياً قابلين للخطأ وللصواب، وقد قال الشافعي رضي الله عنه منصفاً وبليغاً في أمر الاختلاف وهو: «رأيي صوابٌ يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأٌ يحتمل الصواب»، فإن لم يكتف برأي الشافعي، وجزم بأنّ رأيه هو الصواب، فليبتعد عن وسائل الإعلام، وليقترب من إخوانه، ويهمس في آذانهم ما يراه صواباً، فقد يصححون له، أو يصحح لهم، ولا عجب..! فكم بالالتزام بمنهج القرآن وسنة رسول الله ﷺ من خير ومن بركة ومن ابتعاد عن السير خلف وسوسات الخناس، الذي يريد أن تستفحل النار بين المسلمين، ليقودهم بسلاسة إلى مواقع الإخفاق، وإلى الظهور بمظهر الذين لا يتحملون مسؤولية مواقفهم، وليوقع بينهم العداوة والبغضاء، والله سبحانه وتعالى يقول وهو أصدق القائلين: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾[الأنفال: ٤٦]، وقد نبه ربنا إلى هذا من هم أتقى وأنقى وأفضل منا، وذلك ليكون هذا التنبيه لنا ذخراً وحفظاً من كلِّ وقوعٍ في حبائل الشيطان، مستشعرين المسؤولية مع حديث رسول الله ﷺ: «.. ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال» رواه مسلم.

وفي النهاية يجب أن ننوه إلى أن ما قلناه من أمر النصيحة بين الإخوان، لا يكون منطبقاً أمره في قضايا السياسة العامة أو قضايا الأوطان انطباقاً تاماً، فالنصح في هذه الحالة مختلف وله شروط وأحوال يحتاجان إلى شرح وبيان، لا يتسع المجال لهما في هذا السياق.

٣- لو تحول الموهوبون إلى إعلاميين إسلاميين

لو تحول الموهوبون إلى إعلاميين إسلاميين[١]

﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٩].

وأي قصاص ذلك الذي تكمن الحياة في الأخذ به؟ أهو قصاص تلك المرأة المجرمة «كارلا لوكوود» التي مثلت أمام القاضي في أحد محاكم نيويورك، الذي توعدها بخمسة عشر عاماً، لكنه لم يحكم بها، لأن عقوبتها لا تصل في القوانين الأمريكية إلى كل تلك السنوات، لأم قتلت ابنتها ذات السنوات الأربع قتلاً بطيئاً، بحبسها في الخزانة لمدة أسبوع بدون طعام أو شراب بصورة متكررة، إلى أن وجدها أبوها ميتة في سريرها، لا يزيد وزنها عن سبعة كيلو غرامات؟! أهذا هو القصاص الذي يجلب الحياة للأحياء والعبرة والردع للمجرمين من أمثال هذه الأم؟ أم هو الذي جاءت به شريعة الإسلام التي تحكم بالقصاص العادل لأمثال هذه المجرمة، لتبترهم نهائياً من المجتمع، وليتمتع المجتمع بعد ذلك بالحدّ المقبول من النظافة والإنسانية والتعاطف الإيماني؟! وفي هذا الصدد يطالعنا الإعلام الغربي في بريطانيا ليخلط السياسة الشوهاء بعدالة أرضية واهية، ومن ثم ليشن من خلال ذلك كله حملة شعواء على أحكام شريعتنا الغراء، التي تقضي بقتل القاتل عمداً، متذرعاً

(١) من مجلة رسالة الإخوان- لندن- تاريخ ١/ ١٠/ ١٩٩٧ عدد ٦٣.

بقصة الممرضتين الإنكليزيتين اللتين قتلتا زميلتهما الأسترالية عمداً في الرياض، حيث حكم القضاء السعودي- الذي يعتمد على شرع الله- بقتل إحدى الممرضتين (التي باشرت عملية القتل).

وبناء على ذلك يثور الإعلام الإنكليزي، وتتبعه الصحافة العربية المتغربة، لتعرض علينا أقوال الإعلام الغربي بحيادية مخجلة أو بتبعية مذهلة، ليُثَبّت الجميع بناء على ما تقدم بعض الأقاويل المضحكة؛ من مثل: إن العصر لم يعد يحتمل أحكاماً كتلك الأحكام، ولا تشريعاً متخلفاً مثل ذلك التشريع الذي اعتمد عليه القضاء السعودي. «تنزهت شريعة الإسلام عن مثل هذه الأوصاف وتعالى الله وتنزه عما يصفون».. فإن الله لم ينزل على العباد إلا ما ينفعهم، وما يذهب عنهم أذى أصحاب السلوك المعوج؛ من الذين يعيشون بين ظهرانيهم. فلما مال الناس وحادوا عن جادة الله، وجَدْتَ مجتمعاتهم تعج بالجريمة البشعة، التي فاق منسوبها المتصاعد كل تقدير، وتجاوزت أشكالها وأساليبها كل خيال، وها هي أوروبا من بلجيكا إلى ألمانيا.. إلى ... إلى.. تضج وتعج اليوم خوفاً ورهباً مما يحدث من اغتصاب القُصرّ وقتلهم بدم بارد، وهذا نوع واحد من الجرائم، التي أقضت مضجع أوروبا ومن قبلها أمريكا، فكيف إذا أتينا بمناسيب اغتصاب النساء هناك، والنسب المخيفة للأولاد الذين يولدون ولا يعرف لهم أب، والنسب الراعبة للاعتداء بالضرب المبرح والمؤذي جسدياً ومعنوياً للنساء، وهي إحصائيات غربية بحتة تنشر وتعرض يومياً في الصحف. فليرعو الإعلام الغربي عن غيه، وليعرف أن أحكام شرع الله التي طبقت قديماً في دولة الإسلام الممتدة، والتي تطبق الآن في السعودية، أوجدت مجتمعات نظيفة نسبياً من كل ما تتمرغ به مجتمعات الغرب من أنواع الجرائم؛ التي تبتدع لها كل يوم أسباباً وأدوات وكيفيات أداء.

وليقف الكاتبون في الصحافة العربية المغتربة أو المتغربة موقف الرجال، الذين إن لم يدفعهم الإيمان فلتدفعهم عاطفة الانتماء إلى تاريخ هذه الأمة وجغرافيتها وكرامتها.. فيبرهنوا بذلك على أنهم من هذه الأمة، ويغارون على تراثها على الأقل.. وهذه نصيحة يجب أن تكون نافذة في صفوف الإعلاميين المسلمين.

أما المسلمون الملتزمون فيجب أن لا يقفوا متفرجين، متذرعين بأن المنابر أمامهم مغلقة، فالمنابر العملية أهم وأقوى. فليكن كل واحد منهم إعلامياً إسلامياً يمشي على الأرض، يبشرون بدينهم؛ بكلامهم، بحركاتهم، بسكناتهم، بلباسهم، باقتصادهم، ببيوتهم، بنومهم، باستيقاظهم، بعملهم المتقن، وفنهم المترفع، وأسلوبهم الرقيق المتقرب، ويجمعهم الخلق النظيف المتراحم، وعصريتهم المتزنة، وفهمهم المرن المتطور، فهم إن فعلوا ذلك كانوا الوارثين بإذن الله:﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[الأنبياء: ١٠٥].

إننا نحتاج إلى أن يكون كل مسلم إعلامياً فالحاً بأسلوبه، مقنعاً بحجته، مرناً وموضوعياً، وفاهماً للمخاطبين من قبله، عارفاً بالمجتمعات وتطورها وحاجاتها، وما يجعلها تستمع لما يقول. وهذا كله محتاج للتأهيل والتدريب والمال وللمواهب.. فهل تسعى حركات الإسلام لإيجاد مثل تلك الإمكانيات..؟.

وهل يضع أثرياء المسلمين جزءاً من ثرواتهم، يستثمرون في سوق الإعلام الناصح..؟ فإن في ذلك الربح الكثير عند رب العالمين، وإن لم يحقق ربحاً عاجلاً .. فالربح الآجل أعظم وأوفى هذا مع أن الاستثمار الإعلامي- إن أحسن الصناع إدارته فيه من الربح العاجل الكثير إن شاء الله.

٤- التلفاز والطفل

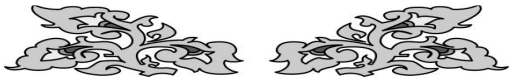

التلفاز والطفل[١]

ومن النصائح الضرورية: الانتباه لما يراه الأطفال أمام الشاشة الصغيرة، فقد لفت نظري منذ فترة تعلق الأطفال الصغار من الأحفاد بالصورة التلفزيونية تعلقاً يكاد يأخذ عليهم ألبابهم.

إنهم في السنوات الأولى من أعمارهم، الثالثة والرابعة، أكثر أو أقل، ومع ذلك فإنني لاحظت عندما أدير مفتاح التلفاز، كي أشاهد نشرة أخبار، أو موضوعاً يتعلق بي كرجل له اهتماماته، أجد هؤلاء الصغار يتابعون بشغف وتعلق شديدين الصور التي لا يفهمون شيئاً مما يقوله أصحابها.

إن ظاهرة تعلق الصغار بالصورة التلفازية يعني لي أكثر من معنى، إنه حالة وظاهرة لا يمكن أن نغض النظر عنها، خصوصاً عندما نعلم أن هذه الصورة تشكل سيلاً عارماً مجرداً من أية مرجعية كما يقول ريجيس دوبريه في كتابه (محاضرات في علم الإعلام العام)؟ وما يعنينا من هذا القول الاستنتاج القائل إن هذا السيل العارم من الصور المجرد عن المرجعية في ذهن المشاهد، يأتي بسرعته البصرية منقطعاً عما يدور حول هذه المشاهد من واقع، لتصبح الصورة عالماً ذا تفاعلات فردية خصوصية، من الصعب مقاومتها خصوصاً عند الصغار، حيث تبدأ تتشكل ذهنياتهم، وتصوراتهم عن المحيط، من خلال ما يشاهدون في ذلك الجهاز الجاذب

(١) من مجلة رسالة الإخوان- لندن- العدد ١٢٤ تاريخ ٢٣/ ١٢/ ١٩٩٨.

العجيب.

ومن هنا تأتي خطورة ذلك الجهاز على الأجيال، ومن هنا أيضاً تأتي خطورة ذلك الإعلام الذي يبث ما هبَّ ودبّ من الصور، دون تمحيص ولا انتقاء يراعيان الأجيال في تشكل عقولها ونمو أفكارها، وتطوير وعيها للحياة وما يدور فيها..

ولنأخذ مثلاً واحداً قريباً من تلك الصورة التي تبث ليل نهار أمام الصغار إنه تلك الصور المتحركة الكرتونية، التي تضع الطفل البريء أمام قصص خيالية لا تمت إلى تنمية الخيال بصلة، بل إن تلك القصص لا تمتلك أي رابط بين عالم الخيال وواقع الطفل، أو ما يدور حوله، إن صورة القط الذي يدوسه قطار أو دبابة ثم يقوم بعد لحظات سالماً معافى، لا يمكن أن تكون لها مرجعية حياتية أبداً، وبالتالي فهي صورة متابعة من قبل الطفل بصرياً، ثم هي تهاجم خلايا دماغه بلا استئذان ولا توان، وليس لديه في تلافيف تلك الخلايا ما يذب بها عن نفسه، أو ما يفسر بها وجود هذه المشاهد أو مبرراتها العقلية أو الحسية، وبالتالي فإن صورة على هذه الشاكلة سوف تفعل الأفاعيل في التركيبة النفسية والفكرية لهذا الطفل، الذي يتركه ذووه أمام التلفاز وحيداً ضعيفاً ساعات طويلة من يومه المعاشي، بدون أي تعليق أو شرح أو إشارة من فهم لما يشاهد من صور، مستهترين بما يحدث لولدهم وبما يراد به، وهو في عمر الورود التي تتفتح الآن، فإما أن تتلقى الندى والنور الذيْن يعطيانها الحيوية والجمال والعطر، وإما أن تهاجمها «الدبابير» وهي في مدى الرمي، فيأتي تفتحها حزيناً كئيباً، يؤذي كل الأبصار التي تقع عليها، خالية من كل نفع وطيب.

إنه لمسؤولية كبرى يقفها كل مسؤول عن البُرعمة البريئة التي بين يديه. وأياً كان مشرب هذا المسؤول أو توجهه الديني أو الفكري فإن المسؤولية حاصلة، لأن

هذا الأب أو المربي لا يقبل لهذه البرعمة أن تنطفئ بسمتها ويذبل تفتحها بخيال تخريبي، لا ينتج عنه ولا يتخرج على يديه إلا المرضى البعيدين عن واقعهم ونبض الحياة المفهوم من حولهم.

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[الصافات: ٢٤] مسؤولون أمام الله يوم الموقف والحشر، ثم هم مسؤولون أمام أنفسهم ومصلحتهم ووطنهم والمجتمع الذي يعيشون فيه، والمسؤولية هنا مقسمة بين من يملك الاختيار والانتقاء في بث الصور، وبين راعي الطفل والجيل، فلا يستطيع أحد أن يتهرب من هذه المسؤولية العظيمة التي يترتب على القيام بها أو إهمالها مستقبل الأمة والوطن، فإما أجيال صالحة طيبة خادمة لنفسها ولوطنها ومجتمعها بما يصلح كل ذلك، وإما أجيال فاسدة مريضة متقاعسة خيالية أنانية لا تخدم إلا مرضها وأنانيتها النابعة عنه.. ومن هنا تأتي حاجة المسلمين إلى إعلام ناصح ناضج، يعرف كيف يوجه الأبناء والأجيال لبناء مواطنين صالحين راشدين نافعين للمجتمعات وللناس جميعاً.

إن الشبهات في بث الصور المعادية للحياة المستقيمة في وسائل الإعلام العامة، لم تعد شبهات، بل أصبح العداء فيها يقيناً، وأصبح الواجب على المرأة أُماً ومربية كبيراً في هذا المجال، وإذا كان رسولنا الكريم محمد ﷺ قال موجهاً ومعلماً في الحديث الصحيح «دع ما يريبك إلا ما لا يريبك» فقد أصبح التلفاز هذه الأيام جهازاً خطراً على أطفالنا ليس مريباً وحسب، بل إن ضرره واقع يقيناً على كل من يلاحق صوره وبثه كيفما اتفق وبدون انتقاء فهل إلى وعي من سبيل؟

٥- الحاجة ماسة إلى رجل كالإمام البناء

الحاجة ماسة إلى رجل كالإمام البنا[١]

نصيحتي أن تبعثوا بالرجل الفذ من جديد، اعملوا لذلك، ولكن ليس بالانتظار، بل بالإبداع فدعوة الإسلام اليوم تقف أمام مجموعة هائلة من القوانين الدولية، التي سنها الغربيون ليفسحوا الطريق أمام مسيرتهم الهادفة، لبسط الهيمنة على جميع الحضارات الأخرى، فمن قانون التجارة الدولية وقبله (الغات)، إلى قوانين البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، ومن قانون حماية الأرض وضريبة التلوث المبتدعة، إلى قانون حماية الأديان الذي ابتدعته الولايات المتحدة، صانعة منه أحد الأذرع الكثيرة، التي تستعملها في الغزو الفكري والثقافي والاقتصادي والحياتي، وقد انتهت كل تلك المبتكرات الغربية الدولية إلى صناعة ذراع جديدة، أسمتها العولمة، وأطلقتها في العالم بواسطة أبواق إعلامية، ومصطلحات حداثية، وصور حياتية شتى، ومضايقات ومحاضرات، وضغوط مكثفة. وكل ذلك باتجاه فرض الصورة الغربية الواحدة ليتشكل العالم من جديد، وهو يتماهى في إطار تلك الصورة، رغبة أو رهبة أو طمعاً أو تبعية خالية من العقل والفكر والهوية الخصوصية.

(١) من مجلة رسالة الإخوان – لندن- العدد ١١٩ تاريخ ١٨/ ١١/ ١٩٩٨.

ولقد أطلقت وسائل الإعلام الغربية من أجل ذلك، كل إبداعاتها، وكل وسائلها المستحدثة، ووقفت دعوة الإسلام أمام هذا كله، حاملة كلمة الخير ومنهج الحق، لكنها مقصوصة الأجنحة الفاعلة، وفاقدة للقائد الفذ الذي يسدُّ كل الثغرات، ويرفع الاسم والعَلمَ والحركة إعلامياً وعملياً في مقدمة الصفوف وفوق الأشهاد، متجاوزاً كل العوائق والحواجز والأصوات المرتفعة، ويكون بذلك التفجير الضخم، الذي تنصت إليه كل الأسماع، وترنو إلى إثارة كل الأبصار، وتحاول أن تعي ما يقول كل الأفهام. رغم ما تمتلئ به الساحة من أصوات ومعروضات، «وموضات» قزمة متضائلة.

إن دعوة الإسلام اليوم وإعلامها بحاجة إلى رجل كالإمام البنا رحمه الله الذي توج المئة الرابعة عشرة الهجرية، وكان مجددها الذي غطى بدعوته الفذة كل الساحات، فأصبحت حركته وجماعته الميمونة الراشدة حديث الناس والمجتمعات والدول.

فهل إلى رجل المئة الخامسة عشرة من سبيل، يقوم كما قام سلفه الإمام الشهيد على قدم رسول الله ﷺ، شخصية «كارزمية» استطاع أن يصفها بدقة متناهية واحد من رجال الله في الهند (ولا نزكي على الله أحداً) هو الأستاذ الكبير أبو الحسن الندوي رحمه الله.

قال أستاذنا الشيخ الندوي رحمه الله في وصف الشهيد الإمام: «هذه الشخصية التي هيأتها القدرة الإلهية، وصنعتها التربية الربانية، وأبرزتها في أو انها ومكانها، تدل على رجل موهوب، مهيأ، وليس من سوانح الرجال، ولا صنعته بيئة أو مدرسة، ولا صنيعة تاريخ أو تقليد، ولا صنيعة اجتهاد ومحاولة وتكلف، ولا صنيعة تجربة وممارسة، وإنما هو من صنائع التوفيق والحكمة الإلهية، والعناية بهذا

الدين وبهذه الأمة، والغرس الكريم الذي تهيأ لأمر عظيم، ولعمل جليل في زمن تشتد إليه حاجته، وفي بيئة تعظم فيها قيمته».

وإذن... فنحن اليوم (دعوة إسلامية، وإعلاماً إسلامياً) بسبب من تواضع ممتلكاتنا وبضاعتنا من الزاد التقني، وعظم ممتلكات الجبهة المواجهة، نرى أنفسنا محتاجين إلى ذلك الرجل الفذ، الذي يتوج المئة الخامسة عشرة، فيحيي فينا سيرة الإمام البنا وحيويته وحماسته، وشخصيته الشاملة الجامعة السائرة على هدي كتاب الله وسنة رسوله العظيم ﷺ حذو القذة بالقذة، فيفجر في الساحة ذلك الصوت المدوي، الذي يحمل للعالمين كل ما يحتاجونه من استقامة ورحمة، وعدل وسعادة ممتدة على ضفتي الوجود الإنساني (دنيوياً وأخروياً).

وحينئذٍ يستطيع الإعلام الإسلامي، أن يغالب الإمكانات الهائلة المسخرة لدعوة العولمة الشيطانية، كما يستطيع أن يقف بحضور شامخ، ينتزع- بتلك الشخصية الفذة- كل حقوقه وكل أهدافه، من بين فكي الوحش العولمي المفترس، ليملأ بالتالي المسافة بين ذلك الإعلام وبين الإنسان المعاصر المنتظر على حافة الخوف والقهر والترقب.

فالعالم اليوم يقف على ساق واحدة، ينتظر مخلصاً له من بين أنياب المادية، التي تكاد تلتهم كل أحلام الإنسان بواقع يرى فيه نور النزاهة والعدل والحياة النظيفة التي أرادها الله للإنسان.

٦- إشارات سلوكية وفكرية

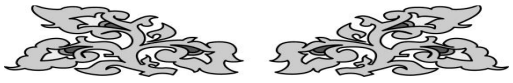

ومن النصائح للإعلام الإسلامي أن يتحلى بالسلوكيات القدوة

فإن عمل الإعلامي الإسلامي عبادة.. بل هو من أعظم العبادات، فهو جهاد بالكلمة، وهو دعوة أعمدتها الفهم والخبرة والفن المتقن وقبل ذلك وبعده نية صادقة خالصة لله، لا يبتغي صاحبها إلا وجه الله. ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البيِّنة: ٥].

لذلك يجب أن تكون أولى أخلاقيات الإعلامي المسلم وأول أساسات عمله، الابتعاد عن خلط النية الخالصة، بحب الشهرة أو السعي إليها، وذلك كي لا يكله الله إلى نفسه في جهده الساعي إلى إيصال كلمة الله إلى الناس، فيبوء ذلك الجهد عندئذٍ بتقصير البشر وفشلهم وسوء مآل كلمتهم، وليكن شعاره في مساعيه للوصول إلى قلوب الناس وعقولهم حديث رسول الله ﷺ: «إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا، حتى لا يبغي أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد» رواه مسلم.

وهو إن استمسك عملياً بذلك الشعار، وعمل تحت ظلاله، استطاع إبعاد خطواته وحركته الإعلامية عن مفازات حظوظه الخاصة المهلكة والمحبطة للعمل في الدنيا والآخرة، لأن تلك المفازات تقطعه عن الوصول إلى أهدافه في وصل الناس بدين الله الذي يحمله، من حيث تلبس عليه نفسه أنه سائر في الطريق السليم،

وكذلك فإنها تقطعه عن أسباب الحصول على رضى الله الذي هو الغاية الأولى والأخيرة لكل عمل المسلم إعلامياً كان أو غير إعلامي.

ولا يغيبن عن بال الإعلامي المسلم وعمله: أن هذا الإخلاص في النية والتوجه موضوع دائماً وأبداً تحت مجهر الرقابة والحساب، وأن كل ماله علاقة بلسانه وقلمه وقلبه وجوارحه خاضع للنص القرآني الكريم: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[الإسراء: ٣٦]. وإذن فذمته مشغولة كل لحظة، ومهمومة بهم داهم، لا يكاد يتركه ثانية واحدة من الزمان، ليسجل عنه وعن قلمه ولسانه وقلبه وجوارحه مآل أية حركة كانت أو سكنة صادرة عنه، وذلك ليبرأ طرفه في نهاية الأمر من أية تشويشات قد تدخله في مسارات بعيدة أو منحرفة عن الغاية النهائية.

وليحرص الإعلامي الإسلامي على الحذر الشديد من البضاعة الفكرية والشعارات المزجاة في السوق، فإن غالب ما يطرح في هذه الأيام لا تؤمن غوائله ولا يركن إليه، ففيه السم الزعاف المدهون بالسمن والعسل، وفيه الأفكار التي يعشي بريقها بصيرة المفتون، فيلتبس عنده الحق بالباطل، وتختلط عليه الأمور، وقد أعلمنا الله سبحانه فساد الأخذ عمن تاهوا بغير تفكير وتدبر ودراسة وتمحيص فقال جل من قائل: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾[النجم: ٢٩] إذ إن صاحب الدنيا المفتون بها الغافل عن الله لا يرشد له رأي ولا تستقيم له فكرة، حتى يختلط فيها الحسن بالبائس من الكلم. وهذا لا يخالف توجه المسلم الحق القائل بأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذ بها.. فالآية قاعدة عامة والحكمة خصوصية قد يستفاد منها أحياناً.. ولكي يكون هذا الكلام واضحاً،

أضرب لك -أخي الإعلامي الإسلامي- مثلاً قريباً ساخناً ملتصقاً بواقع ما يطرح بتركيز هذه الأيام مما يتعلق بموضوع حقوق المرأة؛ فهذا الموضوع وما يزجى منه في ساحة الفكر والعمل والإعلام شديد الخلط بين ما هو حق وما هو باطل؛ فمن أجل أن يصل أصحاب هذا الفكر إلى إفساد المرأة والانحراف بها عن طهرها ونظافتها ومهمتها الغالية الشريفة، يزينون كل ما يسوقونه من إعلام فاسد وطرح شنيع بحق المرأة بواجهات خادعة، لا تعدو كونها قشرة بالغة الرقة، لكنها تدلس على السامع والقارئ والمشاهد، وتوقعهم في الحيرة، خصوصاً إذا كانوا من ذوي الباع القاصر في هذا المجال.. إنهم يخلطون بين حق المرأة في العمل والخروج لقضاء حاجاتها الضرورية وبين الاختلاط غير الضروري مع الرجال.. وأهم من ذلك كله أنهم نجحوا في التدليس الصفيق – حتى على المسلمين أنفسهم- عندما وصلوا إلى إقناع الناس بأن مهمة المرأة في البيت والانشغال بتربية النشء وتحويل البيت إلى جنة وروضة حاضنة للأجيال، ومكان آمن يأوي إليه ويرتاح فيه ويبتهج به كل أفراد العائلة، خسارة كبيرة للأمة والوطن، لأن المصانع والمتاجر والشوارع فقدت نصف المجتمع، هذا رغم أن هناك أصواتاً في الغرب نفسه بدأت تظهر، وهي تنادي بإعادة المرأة إلى البيت لتعمل فيه بأجر مدفوع، وذلك بعد ما رأى العاقلون المجربون الخبراء هناك، وبعد ما ذاقوا من ويلات ذلك الفكر الذي يعدُّ عدم خروج المرأة للعمل والإنتاج متبرجة فاتنة مفتونة خسارة لنصف المجتمع..

لقد انطلى ذلك التلبيس الشيطاني حتى على البعض من الإعلاميين المسلمين، فراحوا يدندنون كما يدندن أولئك ولو على استحياء. أفلا نتدبر ونتأمل ونتعمق- كإعلاميين إسلاميين- بكل الإشارات السلوكية والفكرية المهتدية القائلة: «ولو اتبعت أكثر من في الأرض لأضلوك..».

٧- الخطاب الإعلامي الإسلامي.. ورضى الآخر

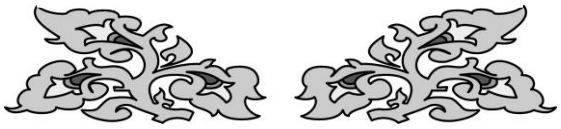

لا بد هنا من النصح بأن لا يرتدي الإعلام الإسلامي رداء رضى الآخر، إذ إنه قد بدأ السعي إلى إيجاد خطاب إعلامي إسلامي فاعل مستمر وحثيث، ولكنه بطيء بالقياس إلى ما يجري في الغابة الإعلامية العصرية، التي عززت مواقعها من خلال التطور الهائل الذي حصل في وسائل الاتصال الحديثة.

وما نبتغيه كإعلاميين إسلاميين، أن يستمر العمل الحثيث من أجل إيجاد هذا الخطاب بالمواصفات المطلوبة، وأن يدوم، وأن يتسارع إيقاعه، ليأخذ له مكانة مرموقة، مزينة بالمصداقية، والسبق، والتميز الموسوم بالتركيز المكثف على توق الإنسان المعاصر إلى منهج حياتي؛ يخرج هذا الإنسان من الانحسار داخل مربع المادة والدوران في دائرة الخوف من النهاية، الخالية من أي ضوء يخفف عن الإنسان عتمة اللحظة الأخيرة، التي أبعدتها الصيغة المادية العصرية عن كل بشارة أو أمنية واعدة.

ونحن في طريقنا إلى ذلك المطلوب، نميز بين الخطاب الحكيم المطلوب المتصف بالمرونة، وبين الخطاب الذي نراه ونشاهده ونسمعه من الكثيرين الذين يتكئون على مصطلحات مثل: التكيف، والعصرية، والتيسير، وفقه الواقع، ليبرروا ويسوغوا مسيرتهم الهادفة للوصول إلى رضى الآخر.

فبالنسبة للخطاب الأول، نسعى للوصول إلى خطاب مؤصل، يحمل مواصفات الدين الذي نتشرف بالانتماء إليه، من خلال صيغ خطابية إعلامية تراود متطلبات الإنسان العصرية من ناحية الارتفاع بتلك المتطلبات، وليس من ناحية مجاراتها، فالخطاب الإعلامي الآخر يعمل على دغدغة تلك المتطلبات الغريزية في النفس الإنسانية؛ استهلاكية كانت تلك المتطلبات أو منطلقة من مشاعر حب القوة والهيمنة والتملك المفرد، أو مؤسسة على الشهوات الآنية غير المضبوطة بأي ضابط، تطلب المتعة واللذة بطرق غير سوية..

إن هذا الخطاب الذي نبتغيه - مؤصلاً فاعلاً متحركاً مرناً متطوراً-، لا يمكن أن ندخل فيه أي كلام يتوجه إلى طلب الرضى من الآخر، بحيث يحاول ركوب أجنحة الاجتهاد لليّ النصوص، وجعلها تبرر وتسوغ كل ما يطرحه العصر، فتدخله تحت عباءة المشروع شرعاً مهما كانت تلك الأطروحات غير مهتدية.

إن الخطاب الإعلامي التبريري الذي ينتهجه البعض داخل الخطوط الإسلامية، ليس خطاباً إعلامياً إسلامياً، بل هو يقوم بالإضرار بمشروع الخطاب الإسلامي الحقيقي، ويدخل عليه في بعض الأحيان دخول السيل الهادر ليهدم ويخرب بأدوات ظاهرها الخير، ولكن في باطنها يكمن عذاب المؤمنين المخلصين.

إن رضى الآخر غاية لا تدرك، وقد دوت هذه الحكمة في آذاننا وعقولنا وقناعاتنا منذ نزل النص الكريم العظيم: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ﴾[البقرة: ١٢٠] وشاهدنا على مدى التجربة التاريخية والعصرية، أن الذين سعوا هذا المسعى سقطوا في النهاية في حوزة أولئك الذين يطلبون رضاهم، وأصبح مطلوب منهم في كل آن، أن ينسجوا الفتاوى والمسوغات لكل «موضة»

وصرعة، وأن يكيفوا الشرع ونصوصه وفقهه لإدخال كل ما يطرحه المهيمنون على العصر، وجعل كل ذلك من الضرورات التي لا بد منها، ولا بد أن نجعل ديننا يقبلها، إذا كنا نريد أن نبرهن على صلاحه لكل زمان ومكان. والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق بإلحاح: هل كل ما يطرحه العصريون مفهوم وضروري أو مفيد ونافع للإنسان بصورة عامة، فضلاً عن الإنسان المسلم..؟..

لقد هيأت النصوص والأصوليون المسلمون للخطاب الإسلامي أسساً لو اتبعناها، ورعيناها، واقتدينا بها، لما وجدنا هذا النزوع غير المتزن وغير المضبوط إلى السير نحو خطاب التبرير الذي ذكرنا.. إن العودة إلى حديث رسول الله ﷺ القائل: «إن هذا الدين يسر، ولن يشادّ الدين إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة» رواه البخاري.

وإلى الحديث الشريف القائل: «يسروا ولا تعسروا، وبَشّروا ولا تنفروا» متفق عليه.

وإلى مقولة سديدة للإمام سفيان الثوري: «إنما الفقه الرخصة من ثقة، أما التشديد فيحسنه كل أحد»..

إن العودة إلى ذلك وما شابهها من نصوص وفقه منزل عليها، يبعدنا عن الذيلية التي يسير فيها خطاب التبرير وطلب الرضا، ويجعلنا نرسخ الأقدام في حوزة الخطاب الحكيم المرن المطلوب، كما يجعلنا في غنى عن البحث عن موقع لنا داخل الاستعراضات الإعلامية الضخمة، التي لا تنجلي إلا عن فئران من الخطاب الهزيل، وذلك كما حدث في مسرحية مفاوضات «واي بلانتيشن» التي طرحت استعراضاً هائلاً إعلامياً وكانت النتائج هزيلة بل مضحكة.

وأما ما يتعلق بالاتصال المباشر أخطر وسائل العصر في التأثير على الإطلاق، فهو يتميز بمحاكاة الاتصال الشخصي المباشر ويشبهه في كثير من الصفات، بل وقد يفوقه في أمور انتقاء اللقطة المناسبة نفسياً وفيزيولوجياً للمشاهد المشارك، وفي القدرة على اختيار العناصر الجاذبة، التي تستقطب الأذهان والأفكار، والتوجهات.

إن هذا الاتصال المباشر (التلفزيوني)، قد تَدَعّم بتقنية حديثة رهيبة أيضاً هي «شبكة العنكبوت (الانترنت)»، التي دخل عليها من التحسينات التكنولوجية حديثاً ما سوف يجعلها أداة التعامل المباشر اليومي للإنسان بعد لأي، بحيث يصبح الإنسان يتلقى الفكر والممارسة والتصرف من وسائل لا يدري هذا الإنسان عن أهدافها وغاياتها شيئاً.. فهي تشغل أوقاته وأيامه بشتى اللقاءات المباشرة، عن طريق الكلمة والصورة والتخاطب المباشر، الذي تهيئه الشبكة العنكبوتية، ويتاح لهذا للإنسان وهو خالٍ، لا رقيب عليه، ولا محاسب سوى ما يختزنه في ضميره وعقله، وقناعاته من روادع.. فإن كان خالياً من ذلك كله، وقع فريسة الكلمة المفترية، والصورة الإباحية، والفكرة المشبوهة، وكلها تساهم في تكوينه النفسي والفيزيولوجي والحياتي. لأنها في واقع أمرها والحال، تقع تحت مجهر النص الرباني الذي يقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[النور: ١٩]، كما أنها تخالف عظة ابن مسعود رضي الله عنه، التي تبين أسباب الحيطة والحذر، وتدل على السبيل المؤدي لبناء رأي وسلوك وفكر نظيف، إذ يقول: «إن على المسلم تنزيه لسانه أن يخوض في باطل، وبصره أن يرمق عورة، أو ينظر شهوة، وأذنه أن تسترق سراً، أو تستكشف خبئاً. وعليه أن يفطم بطنه عن الحرام، ويقنعه بالطيب الميسور، ثم عليه أن يصرف

أوقاته في مرضاة الله، وإيثار ما لديه من ثواب، فلا تستخفه نزوات العيش، ومتعه الخادعة».

إن الحواجز اليوم انهارت أمام وسائل الاتصال المباشر، وبما أن هذه الوسائل في الغالب منها تبث ما يزيف هذه الحياة، ويزري بصورتها، ويجعلها في ذهن المشاهد والمشارك هدفاً وغاية، بصورها الشهوانية، وإغراءاتها القاتلة، وبفكرها المزيف، الذي ينمقه الماكرون، ويزينون حواشيه، ويعرضونه بشتى السبل، حتى عن طريق الإعلان التجاري، الذي استخدم المرأة، كسلعة تجارية غير آدمية ولا إنسانية للوصول إلى أهدافه.

وللأسف فقد غزت هذه المظاهر والاستخدامات لوسائل الاتصال المباشر برامج (تلفزيونات) الأمة العربية والإسلامية، بل إن بعضاً من هذه التلفزيونات أزرى بذوق المشاهد وعقله وفكره ومعتقداته، حين كثف استخدام المرأة في الدعاية التجارية، بصورة أساء للمرأة نفسها، عندما استبدل إنسانيتها بعروض جسدية ترُوَّج في سوق نخاسة من نوع مقيت.

وإن كان لا بد لي من كلمة أقولها في هذا المجال فهي سؤال طرحته من قبل ولا أملُّ من طرحه: لماذا يكتفي الإعلام الإسلامي بالفرجة على هذا «الكرنفال» العجيب، من استخدام وسائل البث المباشر، بصيغ تسيء إلي دين المسلم وهويته وحياته؟.. وإذا دخل – في القليل النادر– فإنه يدخل على استحياء.

- أهو العجز. الذي يدفع إلى مثل هذا الموقف؟!
- أم هو الافتقار إلى المال..؟.
- أم هو انتقاد التقنيين والاختصاصيين؟!..

- أم هو عدم تقدير خطورة الانتظار في هذا الموقف؟!
- أم هي كلها مجتمعة؟.

لا أريد أن أجيب.. إلا أنني أستطيع القول جازماً أن كل هذه التساؤلات وما تطرحه.. ليس من المستحيل تجاوزه. بل هو في بعض جوانبه من السهل تناوله فلم هذا السلبية إذن؟.. التي تترك الساحة الأرضية كلها تحت رحمة المتاجرين الماكرين المخربين.

ولماذا لا يدخل الإعلام الإسلامي الحق.. مباشرة وبكثافة إلى ساحة الاتصال المباشر لينقذ، ويصحح، ويسهم في الحفاظ على فطرة الإنسان سليمة..؟!

وها هي وسائل الإعلام، في شرق الأرض وغربها، وشمالها وجنوبها، تناطح المستحيل، لتصل إلى الناس في كل موقع، ولكنها في أكثرها لا تحمل إلا أنموذج نهج الأقوياء في الحياة. كل الحياة في صيغها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، حارقة كل الصور الأخرى، مخلفة وراءها دماراً عاماً، وبشراً لاهثين يتطلعون إلى النموذج كالبلهاء، ثم لا يدرون مما يدور حولهم وأمامهم وخلفهم شيئاً، فيركنون إلى التسليم للمعروض. وحتى وسائل الاتصال الغربي والعربي والإسلامي تراها تردد مروجة فكر العولمة وموجودات الشبكة الجهنمية، التي تكاد تطبق على قلوب المنبهرين المشدودين بحبال حلزونية عنكبوتية المتانة، لتدخلهم في دهاليزها، التي لا يمكن أن يفقه طرق النجاة منها بعد الدخول إليها إلا من صنعها لهذا العالم، كي يجبي إليه كل ثروات المتعبين، وفي الوقت نفسه يعرض عليهم شبكة معلوماته، التي تلفهم في سبل الضياع، منبهرين، تابعين، مقلدين، سائحين في روعة الصنعة المحكمة وما تعرضه، وما تعطيه من فوائد ظاهرة اللمعة، زاهية الألوان دون التفكر، بجناياتها، التي سوف تهز المجتمعات، بما تحدثه من مفارقات اجتماعية وطبقية، وبما تأخذه من

أوقات غالية، وبما توجه إليه من أفكار وسياسات، سوف تؤول في نهاية الأمر، إلى ساحةٍ مركزية، هي ساحةِ الصُّنّاع؛ الموزعين البائعين المروجين للخداع ولعولمة الصورة الليبرالية السوقية.

إن الإعلام العربي والإسلامي مدعو- وهو على مشارف قرن جديد- إلى الإفلات من شبكة الخيوط العنكبوتية بمواصفاتها التي ذكرنا، حيث إنها لم تغير إلا الوسيلة وطريقة العرض، واحتفظت بالمضمون القديم، الذي هو «الاستعمار» عن طريق عولمة العالم بواسطة كل الوسائل الباهرة.

إن الإعلام الإسلامي- بصورة خاصة- مدعو إلى صياغة جديدة عصرية لمضمونه، يقدمها للعالم، مؤسسة على أعطاف الأصل والفطرة، موسومة بكلمات السماء، متعاملة مع الأرض بواقعية (غير نفعية) وموضوعية (غير واهنة) وإنسانية (غير متخاذلة) ونظرة (غير واهمة) وذلك كله، كي ترود تلك الصياغة العالم، لتوقف ذلك التداعي والانهيار الإنساني، الذي بدأ يحل بالجنس البشري، جراء ذلك الانجراف اللامحدود في تيار التحولات «الدراماتيكية»، التي يحدثها مسحوق العولمة، الذي راح يذر رماده في كل العلاقات الإنسانية، متهماً – في طريقه- كل شيء سائد، يحاول أن يعطي لأي شعب أو أمة خصوصيتهما، بعيداً عن خطاب المراهقة الإعلامية، وخطاب الهيمنة والغطرسة.

وقد يقول قائل، إنها لمهمة كبيرة وصعبة، وقد تكون مستحيلة على الإعلام الإسلامي، الذي لا يملك أمام المد الهائج للعولمة (التي راحت تغزو الثقافة والاقتصاد، والإدراك الجماعي. والعقل الجمعي، والسلوك الإنساني والمعرفة) سوى إمكانات متواضعة، لا تقاس بما يقابلها من إمكانات مركزية العولمة، التي تمتلك النظم والتكنولوجيا المتفجرة بشتى أنواع أجهزة الاتصال؛ من الكمبيوتر إلى

القمر الصناعي، إلى القنوات الفضائية، والشبكة العنكبوتية (الانترنيت) والألياف البصرية، والمفاتيح الرقمية، ومؤسسات إدارة كل ذلك عالمياً، ولكننا نقول: إن مع الإخلاص، والنظافة في الكلمة والهدف، واستحضار النية لله، ومن ثم استهداف خير البشرية وإنقاذها، والمثابرة التي لا تعرف الكلل مع المعرفة التامة بمواطن التأثير. إنه مع كل ذلك لن يضيع الله العاملين الذين نقول لهم «لن يتركم الله أعمالكم» ولا يذهب الفضل بين الله والناس.

٨- لماذا الإعلام؟

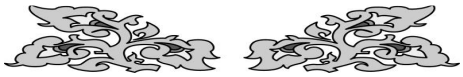

لماذا الإعلام[١]

السعي من الإعلامي الإسلامي لإثبات حضوره في معمعة النصح، لهو سعي تمتد فيه الأواصر من القلب إلى العقل، ومن ثم تتأدب الجوارح، فتصبح خفقات القلب «في كل خفقة حياة»، كما قيل من قبل ومن بعد، في الأوراق وفي السِّير.. ومن ذلك نتعلم أن جارحة اللسان التي هي الوسيلة الأهم للنطق باللغة وجعلها منظومة إعلامية سائرة؛ إما أن تكون لصيقة بالقلب الملتزم الآخذ من عمق فطرة الإنسان التي فطره الله عليها، أو أن تكون لصيقة بنفث الشيطان، فيعتريها من العُجب الذي لا يعتري إلا من سكنت نفسه إلى الإطراء الذي لا يستحقه، ليصبح أسير الُمسدي إليه بذلك الإطراء، فتسلبه المنة القاسطة لب الحياة المتدفقة من خفقات القلب، حيث تسكن الفطرة كما أوجدها خالق الأكوان سوية عطرة ندية مضمخة بروعة التواصل الإنساني، الذي لا يعرف أنانية أو حزازة أو عرقية أو أثرة.

وهذا هو سر الإعلام الإسلامي وخطابه الناجح القادر على إثبات الحضور من خلال هذه المواصفات المستجدة والمواصفات وعناصر تكوين الخطاب الإعلامي التي أتينا على ذكرها في صفحات سابقة.. وذلك هو ما يبني مع الإنسان كل المعاني الجميلة التي استودعها الله الفطر الأصيلة..

---

(١) من مجلة رسالة الإخوان- لندن- عدد ٧٠ تاريخ ٢٠/ ١١/ ١٩٩٧م.

وإني عندما أقلب النظر في خطابنا الإعلامي الإسلامي عموماً، لأجد لنا موطئ قدم في عتمة البث الكثيف الهائل، حين نؤسس لكلماتنا وصورها التي نبثها البوابة التي وصفت آنفاً، والتي بات الناس- على ما أعتقد – يتوقون لبصيصها الهادئ النير، الذي يلامس أصول الفطرة، التي اصطُنع تغييبها اصطناعاً، بواسطة جشع من لا يشبع؛ من أهل مسيرة الاستهلاك، وأحلاس إعلام الدعاية ومخاطبة الشهوة والحيوانية وإبراز روح اللذة.

وبناء عليه فإنه ينبغي للإعلامي الإسلامي أن يجعل جارحة اللسان مرتبطة بالقلب والعقل الملتزمين، وباللسان المتأدب بأدب فطرة الله الصافية النقية.

إن المماحكات السياسية التي تحيط بإنسان اليوم، والمغالبات الاقتصادية التي تتزاحم عندها أقدام الدول والجماعات والشركات العابرة في هذا العصر، تعمل جميعاً على محاصرة آخر قطرة من التقوى والفطرة السليمة في قلب الإنسان، وذلك بواسطة إعلام يسعى بوحشية إلى امتلاك كل فضاءات هذا الإنسان لقطعه عن الله- مصدر الخير والنعمة والهداية له ولكل ما في هذا الكون – وعندئذ يوكل لنفسه، فيسير في طريق الهلاك، كما هو سائر اليوم.

والإعلامي الإسلامي عليه أن يرى طريقه من خلال نور الله وهدايته، فيبدأ من عند النقطة التي أشرنا إليها، (وهي وصل الإنسان بالله) فيسعى به نحو العودة بخطاب مرن وممارسة تراعي الظرف والوقت والمناسبة، ولقد علمتني التجربة أن المهمة الأساسية للإعلامي الإسلامي في قطره أو على المستوى الإقليمي أو العالمي، ليست في دخوله إلى معمعة سوق المماحكات والمغالبات؛ لأن في هذه السوق احتشدت إمكانيات هائلة لا تتيح لهذا الإعلامي أن يعلي صوته، بيد أن الإعلامي الإسلامي يمتلك رصيداً هائلاً من الحق والفطرة والصدق، يجعله قريباً من آذان

الناس وقلوبهم، واعياً قيمة ما بين يديه، مهيئاً قدراته للوصول إلى مواقع التأثير، مع التوكل على الله، علاوة على حسن استخدام الإمكانات المتواضعة ومعرفة عميقة بكيفية إدارة عناصر خطابه، والمحاولة الحثيثة الأكيدة بلا كلل ولا تردد ولا يأس لبث روح الأمل في نفس إنسان اليوم، المنتظر أفق بيان مخلص، ينظفه من كل الأدران التي علقت به، وتشبثت بفؤاده وجوارحه، وذلك عندما انقاد الإعلام للضجة والزحمة، ساعياً دائماً إلى الربح والربح فقط، وتأكيد ما هو فاسد مفسد في الغالب الأعم.

وليكن حادي هذا الإعلامي في وعيه وفهمه قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وذلك إلى جانب الهتاف مع أحد الصالحين «ما انقطع عن الله عز وجل إلا من عمَل بظاهر جوارحه عملاً لم يتصل بقلبه بحبل وثيق من الصدق..».

وليعي الإعلامي الإسلامي: أن الإعلام يحقق أكثر من نصف النجاح في معمعة الأسباب، للحصول على القبول وتحقيق مراده للسير بالناس باتجاه نظافة الحياة ما استطاع إلى ذلك سبيلا. هذا إذا أتقن مسؤولية الكلمة ذات الأبعاد: الأصيلة والمعاصرة، المعتنية بالجمهور وتطلعاته والسمو بها باتجاه الهداية، والخلاص من هيمنة المادة ومصطلحات الاستهلاك واقتصاد السوق والحصول على اللذة المادية المتهافتة. وإننا عندما نتساءل: «لماذا الإعلام؟» تبرز في مواجهتنا هذه الكلمات التي كثيراً ما يُتغاضى عنها، فتذهب الجهود نتيجة لهذا التغاضي هباء منثوراً.. فالحرص الحرص عليها.. لامتلاكها، وتسديد الكلمة الإعلامية بها لتكون:

- مؤصلة بالهداية

- منزلة ذلك على مقتضيات العصر (عصرية منتقاة)
- ملتصقة بالناس وتطلعاتهم.
- محاولة بجدية الارتقاء بهم وبتطلعاتهم.
- سائرة أمامهم لا خلفهم.
- مقربة لهم الأمل، مبعدة اليأس.
- معتدلة في سياقها وطلباتها.
- متدرجة في خططها وغاياتها.
- قريبة من الجمهور في وسائلها غير مرهقة له ولا رخصة مدنفة.

فإذا امتلكت الكلمة الإعلامية ذلك كله، أمكننا الإجابة على السؤال: لماذا الإعلام؟.

٩- الرد على حملة إعلامية غير قويمة

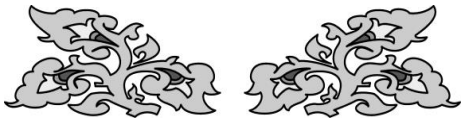

الرد على حملة إعلامية غير قويمة[١]

هناك حملة إعلامية تطل برأسها، من عناوين صحف تحمل أسماء إسلامية، أو تكتب وتفتي باسم الإسلام، أو تعطي بعضاً من مساحاتها لهذا الأمر.

هذه الحملة نراها ونحسبها رديفة لحملة إعلامية وسياسية قديمة جديدة، حاولت دائماً إلغاء وجود الرأي العام، أو إلغاء وقمع وجود تجمعات وبؤر لهذا الرأي عن طريق أحزاب أو هيئات متفقه أبداً مع الراهن من خلال التقائها بالمصالح معه، مهما كان معانداً للحق.

كما أنه منذ فترة ليست بالقليلة بدأت تطل حملة تتبناها مقولات طويلة عريضة متسلحة بفقه عجيب غريب يستعمل النصوص- التي من المفروض أن تطبق في مجتمعات المسلمين وبلادهم، وتحكم حياتهم (السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية) ليطبقها ذلك الفقه في مجتمعات غير إسلامية ولا يطبق فيها مبادئ هذا الدين وشرائعه وسلوكياته.

هذه المقولات تريد أن تفهم السامع أو القارئ أن كل التجمعات والحركات الإسلامية المعاصرة تعتدي بوجودها على النصوص الإسلامية وعلى مبادئ

(١) من مجلة رسالة الإخوان- لندن- العدد ٧٤ تاريخ ١٧/ ١٢/ ١٩٩٧م.

الإسلام الحنيف، مستدلة (تلك المقولات) على بدعتها هذه بفريتين اعتبرتهما مفسدتين لأصول التعامل مع دين الأمة.

الفرية الأولى: هي تفريق صف الأمة إلى أحزاب وجماعات.

والفرية الثانية: مخالفة الأحزاب والحركات الإسلامية المعاصرة لإفراد الله بالعبادة والانحياز بذلك إلى الشرك.

إن هذه الحملة من التهافت بمكان، بحيث ثبت بوجه قاطع أنها دعوة لا تعيش العصر، كما أثبت واقع الحال إخفاق صوتها في الوصول إلى مدى بعيد، وضمور مساحة الحركة التي حاولت أن تفترشها، وتوسع مداها فوق أديم متحركات الأمة وفعالياتها. وبقيت تلك الحملة الإعلامية السياسية القاسطة تراوح في المكان، لا تستطيع مغادرته إلا نادراً، تندب حظها العاثر في الحصول على جواز سفر نافذ لدى الجماهير الهادرة من المسلمين، التي تريد أن تنظم صفوفها، وتنسق حركتها في مواجهة حملات الإبادة الفكرية والعقدية والحياتية المنظمة أدق تنظيم وعلى مستويات كثيرة وبصور كثيرة، وتحت ظلال مسميات لا تحصى.

إن الجماهير تريد أن يكون حراكها مكافئاً في تجمعه وتنظيمه للحراك المضاد، لا مجرد أصوات فردية تموت باختفاء صاحبها، أو تصبح سجينة الكتب ورفوف المكتبات وحسب.

إننا نعتقد أن هذه الصرخة الإعلامية المتلبسة بأهداف سياسية غير مشروعة، حملت شهادة وفاتها يوم انطلقت بغطاء فقهي قاصر يريد أن يروج.

١- للخنوع.. خنوع الشعوب للرأي النافذ، أياً كان، ومهما كانت مصادر حكمه، وحتى لو مارس الظلم، والإبعاد والإقصاء، واحتكر كل شيء،

وضرب كل من يتحرك برأي آخر. وذلك بعيداص عن فهم الخليفة الراشد الأول أبو بكر رضي الله عنه، حين قال في خطبته بعد بيعته: وُلِّيتُ عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فلا طاعة لي عليكم.

٢- كما يريد أن يروج لسياسة التعامل مع هذه الأمة كأفراد فقط، فلا رأي عام ولا تجمعات أو قوى لها آراء في كيفية صلاح الأمة وتقدمها.

إننا لا نستطيع أن نفهم إعلاماً على هذه السوية من الفقر الأصولي، والفقر في فهم التنظيم العصري لحياة الشعوب، إلا على أنه تقدمة متهافتة بين يدي المتنفذين، مخالفة- بدون أية مواربة- لروح الشريعة الإسلامية التي أمرت بتجمع الناس واجتماعهم في جماعات وقوى متعاونة على البر والتقوى ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾.

كما أنها مخالفة لروح النصوص القرآنية التي جاءت تخاطب البشر بصيغة الجمع؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ونادراً ما كانت الكلمة موجهة بالصيغة الفردية.

وكذلك فإن هذا الإعلام مخالف لقوله تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[التوبة: ١٢٢]. إن الإعلام الداعي إلى التجمع الجماهيري على الخير والإصلاح القويم للمجتمعات ضرورة عظيمة، ومفخرة شريفة لذوي الألباب.

١٠- التجمع لنصرة الحق والحقيقة

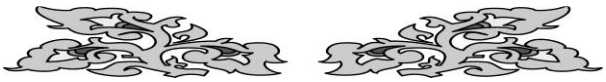

قال تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

وقال جل من قائل: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

تمتد مساحات العبث الإعلامي العالمي فوق الأرض بشكل راعب، وتنكشف لدى نظر المراقب أبعاد هائلة من التخريب، وزحف عجيب لتلك الوسائل الإعلامية، التي تبتغي طمس صورة الحق، ونشر أسباب الفساد والإفساد والنفاق، وتزييف الحقائق، والتمويه على المستمع والمشاهد والقارئ، بحيث تتركهم جميعاً في حالة من انعدام الوزن، أو التعويم الفكري والسلوكي المحير، الذي لا يهتدي إلى حق أو حقيقة، ولا يرسو له شراع داخل ميناء آمن مطمئن.

وتأتي الآيات الكريمة لتوجه الإعلامي الإسلامي إلى الموقف المحسوب: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾. ويجد هذا الإعلامي نفسه في وسط الإعصار، ملزماً بأدوات، وثوابت راسخة، يكتشف أنها محاربة من موج عارم من عمليات إعلامية تزييفية، تقلب فيها الحقائق، ويزين الباطل، ويشوه الأفق المنظور والبعيد لأمته وتطلعاتها وثوابتها ومنطلقاتها.

ويجد الإعلامي الإسلامي نفسه، أمام ركام فظ من الكلام الذي يرتاد قارات الأرض الخمس، كما يجد أن رسولنا الكريم ﷺ أطلق على أرباب هذا الركام

ودعاته صفة «خطباء الفتنة»؛ وهم أولئك الذين رآهم ليلة الإسراء والمعراج، تُقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد، ووصفهم له جبريل عليه السلام، بأنهم الذين يلبسون الحق بالباطل، ويزيفون الحقائق، ويسيرون في ركب النفاق. فهم إعلاميون من طراز الأعداء، ولو تسموا بأسماء عربية أو إسلامية. والمشكلة أن أمثال هؤلاء امتلأت بهم شوارع الصحافة، ودوائر وسائل الإعلام الأخرى في أمتنا وفي العالم. بل إن الصحف والإذاعات والتلفازات ازدحمت بهم، حتى لا يكاد الإعلامي الإسلامي يجد له موطئ قدم، يتلمس من خلاله مساحة للقول أو الفعل.

وفي مناسبات عدة داخل أوطان العرب، تجد أن أداء هؤلاء يزداد حدة وشراسة، فتعلو الأصوات، وتعتري الكلمات رجفات، تبدو في ظاهرها غيرى أو محلقه في عالم الإخلاص والوصف الصادق، ولكن الحقيقة التي تبرز من خلال النظر الثاقب الصادق، تقول: إن هذا الصراخ – وليس الإعلام- لا يمثل إلا ما أسماه رسولنا الكريم ﷺ «خطاب الفتنة».

فهو يفتن الحاكم عن رؤية الحق، ويغريه بالسير في طريقه، الذي كلما امتد به الزمن، وابتعد به عن نقطة الخطأ الأولى، ازداد انفراج الزاوية بينه وبين رؤية شعبه، وبذلك تزداد السوءات تفاقماً، ويزداد البعد عن نقطة الالتقاء بين الحاكم والمحكوم، وينغمس الوطن والشعب والحاكم في الفتنة جميعاً، فتنة العنف المتبادل، وفتنة ضياع الهوية، وفتنة الخنوع للأعداء، وفتنة قلب الحقائق، وحتى الوصول إلى فتنة ضياع الحقيقة، وهي الطامة الكبرى.

والأمثلة على هذه الصورة التي وصفنا كثيرة، ولكن أقربها زمناً إلى الذاكرة ما يدور في خطاب فتنة في هذه الأيام، ترسله وسائل الإعلام في سورية ومصر منها الرسمي ومنها الخاص الفاسد؛ فهي تبدو واقفة ليل نهار، ولا تريد أن تقعد،

شغلها الشاغل تزيين الأخطاء، وإعطاء أوصاف عالية غالية سامقة لما يجري على الأرض هناك من جرائم يقترفها المغتصبون للحكم، في حين أن واقع الأمر لا يصدق الخطاب، بل يعاكسه تماماً. وباعتقادنا أن هؤلاء الذين يصرخون في تلك الوسائل غير صادقين؛ لا مع أنفسهم، ولا مع الحكم، ولا مع الشعب، ولا مع الوطن، وحقيق بهؤلاء جميعاً، أن يقفوا أمام الذي يرونه ويسمعونه ويشاهدونه وقفة حكمة، ليتساءلوا: من يستفيد من هذه الصورة، التي يرسمها هؤلاء لوضع يبدو مرتفعاً عن الأخطاء والعثرات، مع أن وضعاً كهذا لم يتحقق في عالم الناس والجماعات والدول حتى اليوم؟!

بل إن الذي يقوم به مغتصبوا الحكم في سورية هو تدمير للوطن وبنيانه وقتل للشعب وحياته وتشريد له وإجرام غير مسبوق في تاريخ سورية وغيرها على يد هؤلاء الحاكمين الغرباء عن الأمة. وكذلك فإن ما يجري في مصر منذ ٣ تموز (يوليو) ٢٠١٣ هو جريمة كبرى بحق الشعب المصري الكريم وبحق الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، وفي الحالتين يحتاج الإعلامي الإسلامي إلى الصبر والأناة والبذل لإيصال حقيقة المجرمين إلى الناس وتجميع هؤلاء الناس، من أجل إعادة الحق إلى نصابه في البلدين المنكوبين بالمخربين.

١١- لنكن شركاء

إلى أن نركب صهوة الشراكة في صنع الحضارة والثقافة؟ فسوف يبقى الحزن يسكنني، والليل يحاصرني، ولا أقوى على الصلابة، فقد أحاطت بي مراهقات الفكر، وكبوات الجياد، ومِزَقُ الأشرعة، والأفق الرمادي يرتطم بموجي، فتسترخي السفين، وتقعد الهمة عند السفح كليلة البصر، ويظلّ القلب الوحيد المسرف في التفاؤل، يحاول استنبات الأزاهير وسط الشوك الكثير، مجهداً خفقه في تثبيت حلم النهوض والاندفاع من السفح نحو القمة، مشتاقة شغافه لشموخ الفوارس ولصهيل الخيل وللقمر يستوي فوق صهوات الغيوم المدرارة..

ومن إشراقة فجر ندي تطل على ساحة العقل، تبزغ في أفق الرماد جمرةُ فكرٍ تقول: إن من سنن الله الثابتة المطردة أن جعل الناس شعوباً وقبائل: وجعل لكل لغة سمات ومميزات هي روحها وحياتها وأساس بقائها، ووسيلة مشاركتها في صنع الحياة مع الآخرين. وجعل الله من ذلك التنوع والتعدد في الوجود الإنساني وسائل للتقارب والتعارف والإثراء الحضاري والثقافي، وذلك من خلال مشاركة كل شعب بميزاته وخصائصه وقدراته الذاتية في تقديم إضافة يحتاجها الوضع العام وتعوزها الحضارة الإنسانية وثقافتها. ومن هنا فلا عجب إذا أصرت الأمم الحية والشعوب المتحركة على الاحتفاظ بميزاتها وخصوصياتها، بل إن ذلك من الأمور الممدوحة المطلوبة، ليستمر فعل السنن الرباني في الإغناء والإثراء، إذ بدون الإضافة التي تقدمها الأمة، نابعة من أساسات خصوصياتها، تموت تلك الأمة،

وتذوب في أحضان الأمم الفاعلة المميزة، وذلك من خلال التقليد الأعمى الذي لا يبنى على الخصوصية، ولا يقدم الإضافة غير الموجودة عند الآخرين، إذ حينئذٍ يصبح الاتصال عملية انبهار بالآخر يؤدي في النتيجة إلى لبس ثوبه، والدخول في عباءته، والانخلاع من الجذور والبقاء.

وإن أول الذوبان احتقار الذات، فإذا تبع ذلك انفتاح وتواصل، انتهت حضارة هذا الذي يحتقر ذاته ودخل في حيز الآخر، خادماً في أجنداته وطريقة حياته، وتكلم بفكره، وعمل بوسائله وآلياته بغير استيعاب ولا انتقاء، فلا يحتقرن أحد ذاته، ولا يستصغرن أحد ما عنده، إذ لا بد أن الناس تحتاج الناس، وكل الثقافات عندها ما تضيفه مهما صغر، وكلها محتاجة للاستفادة من الآخر مهما عظمت.. فهذا (روبرت: بي. هي) عالم الاجتماع الأمريكي يقول في رسالته إلى (USA.Today) نحن في أمسِّ الحاجة إلى الإحساس بالحياة الاجتماعية، ومن السهل أن نفهم أمريكا الضائعة الأرواح، حيث لا يرتبط الفرد بشيء ذي بال، لذلك فهو يبحث عن هويته.. يبحث عنها في العمل وفي المهنة وفي التقدم الاقتصادي.. إنه يبحث عن علامة تميزه وتخبره من هو..».

ونحن العرب والمسلمين إذا انطلقنا إلى العالم بثقافتنا الإنسانية التي صنعها الإسلام استطعنا أن نكون شركاء في البناء الثقافي الإنساني، وذلك بأن نقدم لإنسان الحضارة الغربية تعريفاً له بنفسه وبهويته كبشر، خارج الاقتصاد والعمل والمهنة، وداخل مهمته العظمى كإنسان مخلوق له بداية وله نهاية، بعيداً عن التفكير العبثي والثقافة التي تجعل من أيام الدنيا وجوداً وحيداً لا يتحقق من خلاله الصورة الكاملة للحياة.

لكن ذلك لا يتحقق لنا من خلال التسول الحضاري والثقافي، الذي يسعى به

كثير من مثقفينا ونخبنا، تحت شعار خادع من الانفتاح على الآخر من غير تحصين ولا رؤية خاصة، ومن غير إمكانية للإضافة، لأن هذا السعي الذي يتقدمون به، لا يقوم على أساس أو جذور، والجميع يعلم أنه لا يمكن لثقافة أو حضارة أن تكون شريكة في صنع الإنسانية إلا إذا «نبتت على مغارسها وأصولها»، «فالنهضة على غير هذا الأساس فناء لذات العنصر الأضعف في العنصر الأقوى» كما يقول د. محمد حسين[1]:

فهلا توقف هؤلاء المتسولون عن تقديم أنفسهم وأمتهم للعالم من خلال الانبهار السلبي الذي يحملون، ويحاولون ولو مرة أن يجربوا تقديم أمتهم للناس على أنها أمة لديها ما تضيفه، ومستعدة للاستفادة من كل ما ينفع ويثري إمكانيتها وقدراتها على العطاء لتكون شريكة لا متسولة؟!.

إن على الإعلام الإسلامي واجب كبير في هذا السياق، فعليه يُعوّل لإيصال المعاني الإنسانية الحضارية، التي حملتها الأمة، بانتمائها إلى ربها وقرآنها ورسولها.. وذلك بلغة عصرية بليغة الفعل، ناضجة الحجاج، فاهمة الوسائل والآليات ومتطلبات إنسان العصر الذي يعاني من الثقافة المادية، والممارسة البعيدة عن العدل والنزاهة، المدبرة عن السنن الذي سنّه الله لهذا الكون ومنه الإنسان الذي كرمه الله.. وجعله خيراً من كثير ممن خلق.. ومن هنا نفهم هذا الإقبال العظيم من الغربيين على الإسلام، مع أن وسائل الدعوة ضعيفة، فكيف بنا إذا أسسنا إعلاماً قادراً..؟.

(١) من مقابلة له نشرتها له مجلة الأمة عدد (٣١) نيسان ١٩٨٣.

المبحث الرابع

الإعلام الإسلامي وعدد من البنود المطلوبة

١ - أن يكون فاعلاً

٢ - أن يحذر العولمة المتوحشة

٣ - أن ينقذ الإنسان من أوحال الهوان

٤ - الاستثمار في الحقل الإعلامي

٥ - بين التعبوية والفرقة..!

٦ - خطاب لا يثير الإحن

٧ - أن يغير على التركيبة النفسية للمتلقي

٨ - إعلام يدعو إلى وعي الإنسان في هذه الحياة بغاية وجوده

٩ - وفتحت كوة إعلامية

١٠ - يثبت مقولة: في الإسلام الإنسان كائن حضاري

١- أن يكون فاعلاً

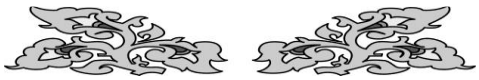

لا شيء يقتل فاعلية الإعلام وحيويته وقدرته على الإقناع مثل كثرة القيود. التي توضع في طريقه وتقنن له مساره وحركته وتفاصيل مقولاته.

وإن أي دولة أو حزب أو جماعة أو هيئة تحاول الإكثار من الممنوعات والمقيدات والمحددات لإعلامها، لن تحصل بالتأكيد على إعلام يثبت حضوره فوق الساحات المزدحمة بشتى المقولات الإعلامية التي تحملها وسائل هائلة الاختراق..

ولقد أثبت إعلام الدول الشيوعية – الذي كان مقيداً بشدة، ومحاصراً بصورة مكبلة في الماضي- خسرانه في معركة الإعلام، وضعفه وتهافته أمام الإعلام الغربي المنفتح، الذي يبث على شتى موجات القول والفكر والسبل.. ولا أدل على مدى إخفاق ذلك الإعلام من ثبوت عدم استطاعته إقناع الشعوب التي كانت تحكمها الدول الشيوعية بمقولاته، إذ بمجرد ذهاب سطوة تلك الدولة وسقوطها الواحدة تلو الأخرى، رأيت شعوبها تنكل بتلك الرموز التي كانت تبث ليل نهار صورة إعلامية واحدة، لا تكل ولا تمل من ترددها ومحاولة ترويجها، غافلة عن نفسيات الناس وما يريدونه، وما يحرك ضمائرهم من توق عميق ودائم للحرية والانعتاق وتعدد الخيارات.

وفي الحركة الإسلامية اليوم يوجد توجهات حيال موضوع الإعلام؛ توجه حزبي شديد يريد للإعلام أن يكون مفصلاً ومنظماً على طريقة (الوجبات الإعلامية الجاهزة)، التي لا تخرج إلا من تحت رقابة شديدة ومتعددة تفحص كل كلمة وجملة ومعنى بل وحرف أحياناً، لتخرج من تحت يدها كتابات الكتاب ومقولاتهم مشوهة ممزقة الأوصال فاقدة في كثير من الأحيان تواصلها وأهدافها

ومعانيها..

وتوجه آخر يريد للإعلام الإسلامي والكلمة الإعلامية أن تأخذ حريتها، بعيداً عن أعين الرقباء والشاطبين، على ضوء سياسة إعلامية تمس المحاور العامة للحركة وخطوطها الرئيسة في التحرك الإعلامي والسياسي، معطية بذلك مساحة للمناورة واسعة للإعلاميين الإسلاميين.

إن الرسول ﷺ ترك للمسلم الفرد مساحة من الحرية في فهم ووعي النصوص وإدارة المعركة الإعلامية والدعوية من خلال فسحة واسعة من التفكر والتدبر وتدوير الرأي وتنويره.

فها هو يترك للمسلمين حرية فهم قوله «لا يصلين أحدكم إلا في بني قريظة» وأجاز الجميع فيما فهموه من النص..

وها هو ﷺ يقول لحسان: «اهجهم وروح القدس معك» فلا يحدد له المعنى الخاص ولا الكلمات التي سيهجو بها القوم ولا الصيغة التي يمكن أن يهجو بها؛ أيها الأفضل أو أيها الأوجه، بل حدد له المسار باتجاه الهجاء، وتركه يتحرك في المساحة الباقية، ليختار الكلمات والصيغة وعدد الأبيات وتوجهها والطريقة التي يلقيها وأين يلقيها وفيمن يلقيها والوقت المناسب لإلقائها. فهي إذن وبالتحديد صورة إعلامية رسالية، تحدد الوجهة العامة، ومن ثم تترك للرجل الإعلامي بقية المساحة للمناورة والاختيار، وبغير هذا سوف يبقى أي إعلام يحدث نفسه، ولا يستطيع حتى إقناع أقرب الناس إليه... فهل يعي الإعلاميون الإسلاميون ومن يمتلك القرار في الحراك الإسلامي هذا التوجه في المسيرة الإعلامية.. فيكتفي صاحب القرار بتحديد المحاور والأهداف، لينطلق الداعية والإعلامي بحرية مسؤولة لإيصال الرأي المقنع والكلمة المهتدية إلى الناس، فينضموا إليه، ويصطفوا مع الهداية الربانية الجالبة لسعادة الإنسان؟...

٢- أن يحذر العولمة المتوحشة

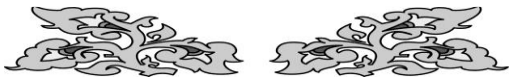

ومعوقات أخرى لفاعلية إعلامنا العربي والإسلامي ومنها:

(منظمة التجارة الدولية «غات»)، (صندوق النقد الدولي)، (المؤتمر الدولي للأرض) (المؤتمر الدولي للسكان).

كلها منظمات تحاول فرض منظومة فكرية واقتصادية واجتماعية وبيئية منطلقة من منظور واحد، مؤسس على الليبرالية الرأسمالية الغربية من جانب، وعلى العولمة التي تحاول أن تخفي أهدافها المتمثلة بإطباق فكي الهيمنة الأمريكية الغربية الرأسمالية على العالم، متسلحة بهذا الاسم الممغنط «العولمة» الذي تصعب مواجهته من قبل أي معترض أو حتى حامل ملاحظة بريئة.

لقد صنعوا للعالم منظمته التجارية الواحدة التي تفرض قوانينها وصيغها في التعامل على كل من يريد أن يتعامل مع عالم المستقبل..

وصنعوا من قبل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، ليقوموا من خلالهما بمعاقبة كل من يخرج على النص الرأسمالي في اقتصاده الداخلي قيد أنملة، حتى لو كان ذلك الخروج من أجل ابتزاز الرأي الشعبي..

ثم أوجدوا للناس فيما بعد مراقبين، يحاولون الهوينا الدخول إلى البيوت وإلى غرف النوم وإلى النوايا الذاتية في الأخلاق وإلى تحديد نسب الإنجاب وإلى التدخل في شريعة الزواج وأخلاقه والعلاقات الثنائية بين الرجل والمرأة، وإلى طريقة التخلص من النفايات وطريقة التعامل بين الإنسان والحيوان من جهة وبينه وبين

الطبيعة من ناحية أخرى، تؤزهم في كل ذلك أفكار عنصرية، يريدون لها أن تهيمن وتعلو وتطفئ كل نور رباني، ولكن الله لهم بالمرصاد ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

ولقد سخروا الإعلام من قبل لضمان عولمة فكرهم واتجاهاتهم، وطريقة حياتهم اليومية، وطريقة طعامهم وشرابهم، وطرق استخدامهم دورات المياه، وذلك من خلال احتلالهم لصناعة الخبر والصورة بواسطة الشركات العابرة التي تستمد أفكارها وتوجهاتها من عالم المال الأمريكي «وول ستريت جورنال» كما يقول المخرج اليهودي «ستون».

وقد جاء الجواب على كل ذلك من عند أمتنا مستخذياً قابلاً محتوياً لمزيد من العولمة الاقتصادية والإعلامية والسياسية، ومزيد من الرضوخ لمفروضاتها، يدل عليهما ذلك الإعراض غير المسوغ عن المشاركة الفعالة في صنع أحداث العصر، والإصرار العجيب على البقاء في مربع التلقي لتعليمات ومدخلات الآخر.

وقد كان الكثير من وسائل الإعلام العربي والإسلامي من أشد قطاعات الأمة وقوعاً تحت تلك الهيمنة الشرسة، فراح يجدف بمقولات الآخرين، ويدفع بالأمة وشعوبها إلى مزيد من التقليد والدوران في حوامات الأمواج الغازية، ومن هنا تجد في طياته ذلك البرود المريب في طرح قضايا الأمة، والحيادية العجيبة في اللهجة التي تتناول قضاياها الساخنة، بل وفي الأخذ بمقولات الأعداء في بعض قضايا الأمة مثل القضية السودانية أو الليبية أو العراقية أو الفلسطينية أو السورية والمصرية والربيع العربي.

ولقد كان المعوّل على الإعلام العربي الإسلامي وأدواته وآلياته في تصحيح الصورة أو ردع الاندفاع باتجاه الوقوع في أحضان الآخرين على الأقل.. وذلك من

خلال السير الحثيث نحو المؤسساتية الإعلامية، والدخول إلى عالم الكبار في هذا المجال..

إلا أن الانشغال بالمحليات والهموم اليومية الذاتية لكل فصيل على حدة. وعدم الانطلاق إلى تكبير حجم المشاركة والاستثمار في الإعلام للوقوف وقفة تنافسية حقيقية في سوق صناعة الخبر والصورة، كل ذلك أوجد هذا القصور الذي نراه ماثلاً للعيان.

ولا يسعنا والحال كذلك إلا أن نلجأ إلى قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

أفلا يتدبر الإسلاميون القول، فيسرعوا في إنجاز ما قصروا فيه كل تلك العقود، التي هيمن فيا أصحاب التقليد والفكر المستورد بدعم من أصحاب ذلك الفكر على مؤسسات الإعلام وعلى الخبرة فيه..؟..

إن الواجب الإسراع في ذلك وتكثيف الاستثمار فيه، والبذل الذي لا ينتظر الربح، بل هو يقرر ذلك الاستثمار على اعتبار أن ذلك تقدمة بين يدي: ﴿... هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ ۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الصف: ١٠ - ١١].

فالإعلام كما قلنا من قبل رسالة وجهاد.. فالجهاد لا يقتصر أمره في ديننا على القتال.. فالكلمة الطيبة ونشرها وخدمتها وإنشاء الوسائل التي تعممها.. جهاد وأي جهاد..!.: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

٣- أن ينقذ الإنسان من أوحال الهوان

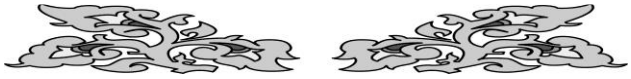

قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[آل عمران: ١٣٩] في هذه الآية دعوة للمسلم إعلامياً كان أو غير إعلامي إلى موقف ضروري يعتمد على الثقة بالنفس والصمود في معترك الكلمة الطيبة:

إنها دعوة ربانية للمسلمين أن لا يتماوتوا، وأن لا يهونوا على أنفسهم، وذلك حتى لا يهونوا على الناس، فهم- بالأصل- الأعلون بدينهم وأخلاقهم وعقيدتهم. إننا نعتقد أن الإعلام هو أحد أهم أدوات الرفعة والقوة، لمن أراد من الشعوب والأمم أن يلتحق بفاعلية في صنع قرار العصر، وهو أيضاً أحد أهم أدوات الهبوط والتماوت والوقوف في آخر القافلة الإنسانية إذا انحاز أي شعب إلى السكون والانبهار والتقليد.

إن أمريكا حاولت بعد سقوط الاتحاد السوفييتي وانتهاء الحرب الباردة وصعود نجم الرئيس الأمريكي بوش أن تفرض على العالم مصطلح النظام العالمي الجديد، لتوحي من خلاله بأنها القوة الأعظم التي تقود هذا العالم، وتضع كياناته تحت إبطها؛ «بالذوق أو بالعافية»- كما يقال- لا يهم.. وهكذا ذهب الإعلام الأمريكي يسوِّق هذا المصطلح وما يدور في فلكه من مقولات تؤكده وترسخه في الأذهان مثل: (راعية السلام، والقطب الأوحد، وزعيمة العلمانية والغرب... الخ).

إلا أن إعلام الشعوب والأمم التي لا تريد تمويت أفرادها لم يروج هذا المصطلح ومعناه لدى هؤلاء الأفراد. وبالعكس فقد تلقف إعلام العالم الثالث، والإعلام العربي والإسلامي منه بصورة خاصة هذا المصطلح وكل ما يدور في فلكه وضَخّمه، ونفخ فيه، إلى درجةٍ أصبح معها الفرد في هذا العالم يظن أن هناك قوة وحيدة وقائداً وحيداً لهذا العالم هو أمريكا، التي لا يرد لها كلام، ولا يقع لها رأي على الأرض، وهذا ما أمات لدى الفرد الشعور بجدوى المقاومة أو جدوى التمسك بالقيم الخاصة أو الكرامة الوطنية والقومية، وذلك نتيجة لما أحدثه هذا المصطلح في النفوس، مع أنه لم يلق رواجاً في أوروبا أو في بلدان العالم الثاني.. وهو ما أكده «فريد هاليداي» المستشرق البريطاني في مجلة المجلة عندما قال: إن الحديث عن نظام دولي جديد ينطلق إما من الجانب الأمريكي (ترويجاً لزعامته) أو من دول العالم الثالث، وهذا في رأيي أسطورة تفوُّق القوة والهيمنة السياسية والثقافية الأمريكية على العالم الثالث».

فهل يعي الإعلام العربي والإسلامي خطورة التكرار الدائم لمصطلحات (النظام العالمي الجديد، زعيمة العالم، القطب الأوحد) على البنية الفكرية للناس وثقافتهم وتوجهاتهم وأعمدة قوتهم وإمكاناتهم واستقلالهم فينبذ تلك المصطلحات نبذاً شديداً، وذلك كي لا يبقى دائراً في مربع هدم مقومات الأمة؟!.

إن المصطلحات إذا ما كُثف استخدامها، واستلمتها (الميديا) الخانعة، فجعلتها طعامها وغذاءها اليومي، قد تؤدي مفعولاً خطيراً في صفوف الأمم، فهي أول ما تفعل في النفوس الاستخذاء وقبول الإهانة، ثم الانحياز إلى التبعية والتقليد، وأخيراً تفتح أبواب الشعوب على مصاريعها لاستقبال المعادلات السياسية للآخر أولاً، ومن ثمَّ الثقافية والفكرية، وقد تؤدي في بعض الأحوال- وفي سبيل الإبداع في

الأمور العلمية والتقنية- إلى القبول بالتنازل عن كثير من سيادة الأمة وخصوصيتها، ليصبح قرارها في كثير من جوانبه تابعاً للقوة (الكبرى)، التي يروِّج لها الإعلام التابع المقلد بلا رؤية ولا انتباه لما يفعله في أمته. إن كل ذلك الهوان في الأمم وأخص بالذكر أمتنا العربية والإسلامية وما رضيت به اليابان وألمانيا ساهم في ترسيخه الإعلام بحصص كبيرة، إلا أن اليابان وألمانيا اللتان رضيتا بما رضي به الغرب وعلى أرسه (أمريكا) عوضتا تلك التبعية بالتفوق التقني والاقتصادي، فصنعتا لهما مكانة عالمية بين الأمم، أزعم أنها مكانة فاقت حدّ السيادة المطلوبة، في حين أن أمتنا لم تلاق في مسيرتها قيادات سياسية وثقافية، كالقيادات اليابانية والألمانية، ولأن القوى المهيمنة المعادية عداءً متجذراً للإسلام والمسلمين بحكم التاريخ وأحداثه والثروة وأطماعها وبحكم الخلاف العقدي، تخاف من صحوة عارمة تبدأ بالاقتصاد، لتنتهي بالسياسة والسيادة واستقلال القرار، فتضيع بذلك هيمنة تلك القوى، تحت وقع كلمات الله جل جلاله: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

لذلك كله، سيدت القوى المهيمنة بحكم احتلالها لبلدان المسلمين- قيادات ثقافية وسياسية وفكرية أنتجتها على عينها، فسارت تلك القيادات، بعد خروج تلك القوى من بلادنا بما يرضي المهيمنين، وتصرفت وسائل إعلامنا بمعظمها حتى لا نقول جميعها بما تمليه القوى المسماة بالعظمى، وبما برمجته القيادات المحلية الخانعة.

وهكذا وجدنا في بلادنا إعلاماً كثيفاً يكذب ويكذب، ويزور الحقائق، ويقلب صورة الأحداث، ويعتدي على الشرفاء من الأمة، مؤيداً القتلة في سورية ومسوِّقاً للانقلاب الباطش المعتدي على الحكم الشرعي في مصر، ومزيفاً الحقائق ومزوراً

صورة الثوار والثورة، دائراً مع ثلة المخربين للأمة على مدى ستين عاماً في مصر وعلى مدى خمسين عاماً في سورية، إلى أن حولوا البلدين إلى يباب وخراب.

وإذن.. فكم من الجهد نحتاج اليوم لتصحيح المسار؟ وكم من وسائل الإعلام الناصحة للأمة تحتاجها الساحة، كي تبدأ الأمة استعادة عافيتها ومكانتها؟

إن الخيرين من أصحاب الثراء في هذه الأمة- وهم كثر- مدعوون اليوم للاستثمار بكثافة في مجال الإعلام الفضائي والإلكتروني، وفي مجال الكتاب والصحف، وفي مجال الإعلان والعمل الإغاثي.. فهل من متفكر في قول ربنا عز وجلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢]، فيفعل الفعل المنقذ للأمة من أوحال التبعية والهوان والحزن.؟

٤- الاستثمار في الحقل الإعلامي

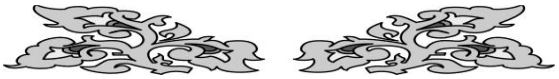

ومن البنود المطلوبة في الإعلام الإسلامي التوكل على الله أولاً: وتكثيف الاستثمار في البنية الإعلامية القوية السديدة ثانياً: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

هذه الآية الكريمة تفتح باب الأمل للمسلم على مصراعيه؛ فالله حسبه، وهو الذي يزيل من طريقه كل العقبات، يبشره بأن أمر الله بالغ مآله متى شاء، وحيث شاء، وليس على الإنسان المسلم في هذا الحال وكل حال إلا أن يكون متزناً، لا تهزه الأحداث والمواقف، ولا تستعجل خطواته المقدّرة من الله الاستفزازات أو الاستدراجات، ويكون وقافاً عند فهم قول ربه جلّ من قائل:﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

حينئذ تأتي البشارات في وقتها المقدر، ويرتسم الفرج في أفق المسلم الناصح الأبلج، نتيجة الصبر والاتزان والعمل الدؤوب الملتزم، وهو يأتي حين يأتي في اللحظة التي كان يُظن أن الأبواب قد أغلقت تماماً، وأن مفاتيح الفرج قد غابت أو غامت معالمها..﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

ولكن.. هل على الإعلامي الإسلامي أن يركن إلى هذا الأمل وحسب، ويقف بدون عمل؟ فيكتفي بما هو عليه، وينتظر بلوغ دعوة الله أهدافها يوم الأمر

المقدر وساعة الجائزة، اعتماداً على أنه ليس بالإمكان أكثر مما كان..

لا.. ليس هذا هو موقف مَنْ فهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[الصف: ٤].. والقتال بالإعلام اليوم أصبح أهم معركة تستطيع الوصول بالمسلم إلى ما يريد لدعوة الله؛ (تمكيناً وانتشاراً وفهماً وتدبراً واعتناقاً)، ولكنها معركة تحتاج إلى رص الصفوف الإسلامية؛ بحيث لا تبقى مشرذمة؛ يغنّي كل واحد من فصائلها بسرب منفرد، لا ينسجم مع أسراب الفصائل الأخرى. وفي هذا المجال يضطرني المشهد الإسلامي الإعلامي المرتسم على أرض الواقع، أن أعود وأكرر مرة ومرة بدون أن أملَّ من مطالبة الإسلاميين من ذوي الثراء، أن يستثمروا استثمارات ضخمة ومؤسسية في الإعلام، لتكوين شركات كبرى، تمتلك أول ما تمتلك الصورة، التي أصبحت اليوم تتحكم بمصير الكلمة في غالب الأحوال.

صحيح أن الكلمة لن يضمحل أثرها وتأثيرها وفاعليتها في النفوس والعقول والقلوب، إلا أن الصورة أصبحت اليوم ملكة الموقف في الحدث المحلي والعالمي وتفاعلاته، تستطيع بالتركيز على سلوك معين، أو ممارسة معينة، أو زاوية من زوايا الحدث، أن تقنع الناس بما يريده صاحب البث وممونه، أو ترسل إلى العقول رسالات خطرة تقلب فيها الحقائق، أو تؤيد اتجاهاً ما، أو تدعم سلوكاً إنسانياً منحرفاً كان أو سوياً، ولا أدلَّ على ذلك من أثر الصورة التي نشرت يوماً ما- وقد كان التقطها هاوٍ قدراً- ومثلت منظر جنود صهاينة يعذبون ويهينون بعض الفلسطينيين بصورة وقحة وفجة. حيث كسروا عظام المأسورين بالحجارة.

فقد أثارت تلك الصورة الرأي العام العالمي والعربي، وحتى بعض الأوساط الصهيونية، مما اضطر دولة الكيان الصهيوني يومها إلى الاعتذار وترتيب المبررات

الكثيرة للخروج من الحرج العالمي. وصدق الله العظيم القائل: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فُصِّلَت: ٥٣].

ودليل آخر على تأثير الصورة في الناس وفي امتلاك قلوبهم وعقولهم صورة الطفل الفلسطيني الشهيد محمد الدُّرة التي أحرجت، وما زالت تحرج- الكيان الصهيوني. ولن تتوقف عن إحراجهم.

ودليل آخر صورة مئات الشهداء الذين اغتالتهم (في سورية بالسلاح الكيماوي) يد الإجرام الأسدي التخريبية.. فقد كادت تلك الصورة أن تهدم أحلام الأسد، وتودي به لولا الحيلة الروسية التي أجبرته على القبول بتسليم السلاح الكيماوي. إن الصورة اليوم أخذت مكاناً إعلامياً متقدماً على كل فاعلية إعلامية أخرى فلا ينزعن الإعلامي الإسلامي من حسابه تلك الفاعلية المؤثرة، وليتقنها أيما إتقان، ويضعها في جعبته سهماً صائباً في ساحات النزال الإعلامي.

إن ذلك يحتاج فعلاً إلى مؤسسات إعلامية قوية منافسة تقنياً واقتصادياً وموارد بشرية متمكنة، ويحتاج إلى بذلٍ من المتمولين الصالحين الخيرين- كما قلنا آنفاً- كما يحتاج إلى بذل في الوقت والإمكانات الفنية واللغوية والطرق الصالحة في الوصول إلى الجمهور والإقناع من قبل الإعلاميين الإسلاميين الموهوبين.

وإننا لا نملّ في سياقاتنا هذه من ترديد القول بهذا، لأنه واجب الوقت، وواجب الاستجابة لما يحيي الحضور الإسلامي في خضم ما يطرح ويبث في العالم من عبث وزيف وافتراء.

٥- بين التعبوية والفرقة..!

١- يوماً بعد يوم تتأكد عملياً فكرة أن الإعلام يسير باتجاه آلية التحكم في الفكر والسلوك والحياة الاجتماعية، ولم يعد يكتفي بالنقل والإخبار عن الحقيقة بشكل محايد. ولقد ساعد الإعلام على النجاح في سيره هذا ذلك التطور الهائل الذي حدث في وسائل الاتصال، وكذلك إهمال البعد الأخلاقي والقيمي في التعامل مع الأداة الإعلامية وما يبث منها، والتي أصبحت على الغالب بدون مرجعية قيمية رادعة، في عالم تتحكم فيه المادة والربحية مهما كانت الوسيلة مبتذلة. فهو من هذه الناحية ليس حراً ولا نزيهاً ولا مبنياً على أصول لا يستطيع تجاوزها مهما كانت الإغراءات والحاجات شديدة.

ونحن إذ نقول ذلك لا نعني أن هذا النمط العام للإعلام لا تخترقه استثناءات بسيطة، تتمثل في الإعلام الإسلامي وغيره، الذي لا يشكل سوى بقع مضيئة هنا وهناك، فوق السطح الشاسع المعتم، الذي يلف محيط الكرة التي نعيش فوقها من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها، وهي لذلك لا تكاد تُرى إلا بالمجهر، ولا نقول ذلك من أجل التهوين من دور الإعلام الإسلامي، بل من أجل استنهاض الهمم، لجعل تلك البقع المضيئة مساحات وحيازات ذات امتداد وتأثير تؤدي وظيفتها «المعيارية» لصالح هذا الدين، على جميع المستويات، مستفيدة من المنابر الكثيرة المتاحة والعبادات الكثيرة اليومية والموسمية، التي تُتيح للإعلامي الإسلامي خوض تجربة الإعلام التعبوي، الذي يتقدم ليل نهار فوق خطوط السير التي تقود

الأمة والإنسانية إلى حيث نجاتها في دنياها وآخرتها. شرط أن تتقيد التجربة بقواعد الإسلام وقيمه وسلوكياته.

٢- هذه قضية أولى بالنسبة للإعلام الإسلامي، وأما القضية الهامة الأخرى التي تواجهه فنقول فيها:

أن تكون فصائل الحركة الإسلامية في إعلامها وبثها متنوعة الألوان متعددة أشكال العرض والبيان والخطاب أمر مفهوم ومقبول بل وقد يكون مطلوباً أحياناً. وفي هذا المجال يحق لنا أن نشبه إعلام هذه الفصائل بوجوه (الماسة)، التي تظهر أمام عين الناظر بألوان جذابة متعددة، كلما قلب صفحة ونظر إلى صفحة أخرى، ولكن هذا الناظر في النهاية يكون متيقناً من أن كل الوجوه والألوان تصب في منظر عام واحد، تمثله الماسة الواحدة في جمالها وتناغم ألوانها وتناسق خطوطها وهدف بنائها العام، الذي هو الارتفاع والترقي بذوق المتلقي والوصول به إلى القناعة التامة بالأصل الواحد لهذا الجمال الأخاذ..

أما أن يكون بث هذه الفصائل متناقضاً، بل ومتحارباً متشاجراً في كثير من صور البث والإعلان والعرض، فهو ما لا نرضاه لهذه الفصائل، لأن في ذلك توهيناً للجميع، وإضعافاً لكل الجهود، وإضفاء لكثير من الضباب على حالة المصداقية التي يجب أن تتحلى بها كل هذه الفصائل لدى المتلقين.

ولما كان الإعلام أحد أهم وسائل الدعوة في عصرنا الحديث، بل نستطيع القول بدون تردد أنه أهم تلك الوسائل على الإطلاق، كان التنسيق فيما بين هذه الفصائل في القضية الإعلامية أمراً من الخطورة بمكان عظيم، فليس من المعقول أن نشاهد كل تلك الفوضى، وكل تلك التناقضات في البث وفي محتويات ذلك البث، وفي التزاحم فوق الساحات والطرق تزاحم الأضداد المناوئين المناكفين.

لقد لفت نظري وجعلني أسطر هذه الكلمات ما وجدته من خلال مشاهداتي على صفحات بث «الإنترنت» من المسافات الشاسعة التي تفصل بين بث لهذا الفصيل أو ذاك؛ حتى لكأنك تقرأ أو تسمع لأصحاب ديانتين مختلفتين، أو دعاة لفكرتين متناقضتين بعيدتين كل البعد عن بعضهما، بل لا لقاء بينهما...

ترى ألم يسأل أصحاب ذلك البث «الأنترنتي» من فصائل المسلمين أنفسهم كم من المصداقية سوف يحصل عليها كل منهم من خلال ذلك العرض المتناقض باسم الإسلام؟!.. وكم من الفلاح وتحقيق الأهداف يمكن أن يحققه ذلك البث الإعلامي المتهافت؟!

وكم من الإعراض سوف يلاقيه ذلك الخطاب العجيب؟!

إنها أسئلة لا جواب لها إلا في الإسراع إلى بناء تفاهم وتنسيق ووضع ميثاق يتفق عليه الجميع، يقنن ما يمكن عرضه وبثه إعلامياً من الفكر والقواعد والعقائد ولا يكون متناقضاً متشاجراً..

٣- وهناك مسألة ثالثة تتحدى الجميع على المستوى الإعلامي وفي الميدان؛ هذه المسألة هي قضية الخطاب المتطرف المتعصب غير المرن وغير الفاهم للسياسة الشرعية المتعاملة مع الوقت والظرف والمكان والإمكان.. وهي مسألة جديدة قديمة، واجهها المسلمون في التاريخ، مع جهالة الخوارج ومعوجات فهمهم للإسلام، ومع بعض المعتزلة المتعالين المعتدّين بالعقل ومكانته وقدراته التي تتفوق حتى على النص. ومع الروافض الذين تخفوا خلف فهوم مذهبية غير سديدة من أجل هدم الدين الذي قوض عروش الأكاسرة وأطفأ نارهم، ثم لاستعادة تلك العروش البائدة وفسادها في الدين وفي السياسة.

واليوم .. اليوم.. يستعيد الميدان ووسائل الإعلام أنواعاً من صور تلك الفئات بحلل جديدة، وعروض إشكالية، ومسوغات أنشأها لهم متنفذون سياسيون ومثقفون وعسكريون، مهدوا بسلوكهم وممارساتهم وانقلاباتهم واستبدادهم ولصوصيتهم لبروز غير عادي لتلك الفئات، استغل أصحاب الأغراض والأهواء في الأمة سلوكيات هؤلاء العوجاء من أجل كتم أنفاس الصالحين المسددين في الأمة، وذلك فعلوه بغرض بقاء سيادتهم في سوق الأفكار والكراسي.

٦- خطاب لا يثير الإحن

إن دعوة الإسلام دعوة إلى ما فيه صلاح حياة هذا الإنسان على الأرض، وإلى ما فيه فوزه في الآخرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ..﴾ [الأنفال: ٢٤] ولذلك فإن الكلمة التي تعبر عن هذه الدعوة وآمالها وأهدافها ومآلاتها لا بد أن تنطلق من مكامن الالتصاق بهذا الإنسان، والحرص عليه، وتتبع خطواته على الأرض، والعناية به والاهتمام بآلامه وآماله ونزع كل ما يعكر العلاقة معه؛ من قبيل الصلة به والأخذ بيده إلى حيث يشعر أن الخطاب الذي يحمله إعلام دعوة الله لا يثير أي ريب أو إحن أو حزازات أو مداخل للشك.... فقد وجه الله سبحانه وتعالى نبيه موسى عليه السلام إلى سبيل المخاطبة المطلوبة مع أعدى أعداء الإنسانية والإيمان (فرعون) فقال له: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].

إن إعلام دعوة الحق.. دعوة الإسلام، يجب أن يكون له مكان في سمع وعقل كل إنسان؛ عدواً لهذه الدعوة أو صديقاً أو محايداً. ولا يمكن لهذا الإعلام أن يدخل إلى عرين كل من هؤلاء إذا كان يحمل أية إشارة حقد أو دعوة إلى الثارات أو العداوات أو الكراهية التي تبعثها مجريات أحداث عفى عليها الزمن. كما أن هذا الخطاب يجب أن يخلو من الصيغة الفوقية الاستعلائية، ومن الصيغة التي تزكي صاحب الخطاب بلا حق، وتضع كل الهنات والسوءات في الطرف المقابل. إن

الأذن الإنسانية صماء مغلقة عن الخطاب الذي لا يريد إلا نفسه، ولا يرى امرءاً صالحاً في هذه الدنيا إلا نفسه، ولا يجد خطىً سائغة فالحة إلا خطاه.

إن الأذن الإنسانية لا تصغي إلا للكلمة المتواضعة الحنونة، التي تربت على أوجاع الإنسان بنور الاستغفار والمسامحة والإخلاص.

ولست مائلاً إلى التشاؤم، إذا قلت إن هذا الإعلام الإسلامي وإن صاحب هذا الخطاب لمّا يعزّ وجوده على مرّ الأعصر.. فلقد قال رسول الله ﷺ «الناس كإبل مئة لا تكاد تجد فيها راحلة».

ولكن هذا إن وجد في ظلال قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

كان هناك الاختراق الإعلامي الإسلامي، الذي يحمل كلمات الله، ويمشي بها في هذا العالم، مُرَحَباً به، مُسْتَقْبلاً بكل بشاشة وانتشار..

وأخيراً فإني أقول: إن الذي عنده مطلب وحق مهضوم، لا يخاطب بلغة الجفاء والتكبر والتجبر خصوصاً إن كان ممن لا يملكون إلا بضاعة الكلام.

فخاطب بما يلين القلوب، وبما يقيم الحجة، واترك العاقبة لله، فهو الذي يملكها، ويدير نواصيها، ولاتكن كصاحب الحوت في تلك الواقعة بالذات إذ ذهب مغاضباً ولم يصبر ويتحمل أذى الصدود.. وهو ما يفعله بعض أصحاب الدعوات والحركات أيامنا هذه..

إن الإقبال على الناس بالوجه الباش، والسحنة المؤملة، واللسان الحلو الندي، ثم الفعل الحاني على أحوالهم وضعفائهم بصورة خاصة، تحدوهم (الدعاة)

في ذلك كلمات الله وتوجيهات رسوله ﷺ؛ بعيداً عن استحضار التاريخ الأسود، واستعادة شعاراته وويلاته، كما يفعل الصفويون اليوم، الذي يريدون أن يعيش الناس في ويلات كربلاء وإحنها وأحزانها، وإشارة الصدور والقلوب والعيون، وتفجير الدماء، واستدعاء ثارات هم صانعوها وباعثوا ذكرياتها.. إنهم يعيشون في الماضي، مستعرضين حادثة استشهاد سيد من سادات الجنة: إنه الحسين رضي الله عنه، الذي قضى منذ أربعة عشر قرناً في سبيل الكرامة والحرية والعودة إلى نبع الإسلام. وقد كان أجداد هؤلاء الذين يثيرون الحقد والكراهية والثارات اليوم من أجل أجداث ذلك الحدث الأليم هم من قتل الحبيب الحسين، وكان من صوّب إليه بسهمه بعد أن توجه الأمر إلى المصالحة بين الحسين وبين الفريق الآخر واحد من واجهات الكسروبين، مبتغياً الفتنة وإيقاد نارها.

إن إعلاماً اليوم يقيم أوده كله على مثل هذا الخطاب، لهو إعلام مريب مشكوك في مصداقيته، مشكوك في انتمائه لأمة الإسلام.

لذا يجب على الإعلام الحق أن يواجه ذلك كله بعرض المعرفة الصحيحة الحقة، بعيداً عن الثارات وردود الأفعال السريعة التي تشعل الإحن والكراهية، وذلك كيلا نعيدها جذعة، توقد في ساحة الأمة إحناً وحَيْرة وتردداً في الفهم لدى الناس.. والواجب السديد أن يبين الإعلام وجه الحق العصري واستعراض الفهم المجمع عليه، والعمل على صيغ التفاهم، ووضع المواثيق التي تقود إلى التنسيق في الميادين، والحرص على الأمة وممتلكاتها الفكرية والحضارية والمادية. بعيداً عن العصبيات المذهبية، ونبذاً لشاراتها المستفزة من لباس وخطاب واحتفاءٍ بقبور وبمناسبات إشكالية عقيمة وغير ذات مصلحة.

٧- أن يغير على التركيبة النفسية للمتلقي

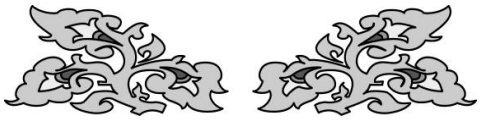

ومن المطلوب اليوم إعلام شجاع وإعلام مقدام. فالإعلام الإسلامي مطالب في خطابه وتوجهه وحركته باتباع منهج التغيير النفسي للإنسان، وذلك اتباعاً وتنفيذاً لمنهج القرآن الكريم الذي يأخذ بالمبادرة المباشرة، وسلوكية الانقضاض بالكلمة الفاضلة، والمعنى السامق مع طلب العافية والرضى والقبول والعون من الله سبحانه.

إن كلمات الإعلامي الإسلامي مطالبة بأن تدخل إلى مكونات التركيبة النفسية للإنسان، لتجعله يقف أمام كل الوافدات عليه من الفكر والسلوك والتصرف، فيشاهدها على حقيقتها. ومن ثم يقف وقفة الناقد الحصيف المنتقي للمفيد منها.

إن جواب ذلك الأعرابي الذي أسلم، وسئل بعد إسلامه مباشرة: عن أي شيء أسلمت وما رأيت مما دلك على أنه رسول من عند الله؟ كان جواباً يدل على أنه قد تلقى من العلم والإعلام ما غير فيه تركيبته النفسية، وزحزخ من طريقه تفكيره التقليدية. إذ قال:

- ما أَمَرَ بشيء فقال العقل ليته نهى عنه.
- ولا نهى عن شيء فقال العقل ليته أمر به.

- ولا أحلَّ شيئاً فقال العقل ليته حرمه.
- ولا حرم شيئاً فقال العقل ليته أباحه.

إن هذا الجواب من الأعرابي، كان بالفعل تعبيراً عن طريقة جديدة في التفكير المنطقي لديه ودليلاً أكيداً على نفسية متغيرة، غادرت استقبال المستجدات بمنهجية: «إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون»، وتقدمت نحو محاكمة عقلية منطقية، هدتها إليها. إعلاميات وأدبيات الدعوة الأولى، السائرة على هدي من الكتاب وسنة النبي المصطفى ﷺ. تلك الإعلاميات التي كانت تباشر بكلماتها وسلوكها المكونات النفسية للتركيبة البشرية، التي عاشت ظروف ذلك العصر.

وما أحوجنا اليوم في الإعلام الإسلامي إلى مثل تلك المنهجية في الكلمة الإعلامية والسلوكية الإعلامية لتباشرا التركيبة النفسية لإنسان العصر، بحيث يصبح من الممكن تحويله من طريقة التفكير بكل تلك الغفلة، التي جعلت كل ذلك الران متراكماً فوق قلبه، إلى منهجية التفكير بطريقة الصحوة، التي تنطلق من موازين الفطرة الإنسانية السليمة بداية، متجاوزة ذلك إلى محاكمة عقلية متنورة مهتدية تجري داخل نفسه لكل ما يتلقاه أو يفد عليه من فكر وإعلام وسلوك.

لقد اتبع الإمام الشهيد حسن البنا هذا المنهج السديد في المبادرة إلى دفعات إعلامية وسلوكية قوية تعالج قضية التغيير النفسي من الداخل، ولقد بدأ بالدخول على الناس- في أماكن وجودهم- بخطاب يثير الانتباه لدى المخاطبين، ويخرجهم بقوة من الغفلة السادرة، التي أبعدتهم عن التفكير العقلي الراشد، وقربتهم من الركون للتقليد واللهو، والعيش بطريقة هامشية، لا يكادون يلامسون من خلالها إلا حواشي الحياة وأطرافها الدنيا. لقد دخل على الناس في أماكن لهوهم وراحتهم وابتدأهم بالمشاركة، ثم راح يبث بضاعته فيهم مبتدءاً بالسهل منها وبالتدرج..

فبينما كان المستمعون إليه بداية يلهيهم صوت المذياع وغرغرات (الأراكيل) عن التركيز على ما يعرضه من أفكار يطرحها ببدهية قريبة من عقولهم، أصبحوا بعد لأي يطلبون إغلاق المذياع ويطفئون نار (الأراكيل)، ويلقون بآذانهم لسماعه.. وليكونوا في المآل من أتباعه ومريديه.

ولقد دهمت القضايا الهامة في أيامنا هذه عقول الإسلاميين، وأهمتهم الأسئلة الصعبة التي تقذفها دوائر المكر بشكل دوامات، تحاول أن تلف في طياتها العميقة كل شيء.

وإن الإعلامي الإسلامي مقصود بالذات، في هذا الخضم من الدهم والهم.. فحري به أن يتذكر وهو في هذه الحالة ما جاء عن الإمام الشافعي رحمه الله، عندما دهمه أمر وآله، فأتاه آتٍ في منامه فقال له قل: «اللهم إني لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، ولا أستطيع أخذ إلا ما أعطيتني، ولا أتقي إلا ما وقيتني، فوفقني لما تحب وترضى من القول والعمل في عافية».

فأصبح وقد ذهب عنه ما دهمه..

إن الإعلامي الإسلامي الذي يلتجئ إلى الله بما يرضيه من قول وعمل وفكر، يبثه، وينشره، لا بد أن يوفق الله كلمته الإعلامية المعدة خصيصاً للدخول في صميم تغيير التركيبة النفسية للناس، بحيث تغدو ملائمة للتلقي على طريقة الأعرابي.. وعلى طريقة من قال: ومع الدعاء شيء من القطران، وهذا القطران شرحنا مثالاً عنه من صنع الإمام البنا رحمه الله\، بينا في: ما هيته، وكيفية الوصول إلى التركيبة النفسية للناس.. إنه إبداع، وفن، وتقنية، وتواضع، ومشاركة هادفة، واقتراب من هم ومشاكل المتلقين، وتقديم العون، والدلالة على الحق في المآل.

٨- إعلام يدعو إلى وعي الإنسان بغاية وجوده

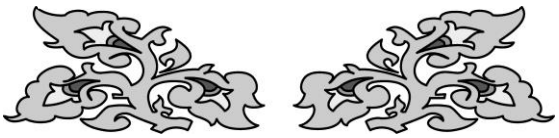

أعلام يدعو إلى وعي الإنسان بغاية وجوده(١)

ومن بنود إعلامنا الإسلامي إعانة الإنسان ليفهم سر وجوده

قال تعالى:﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[المؤمنون: ١١٥].

وقال أيضاً في محكم كتابه العزيز: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٣]..

يذهل الإنسان المسلم عندما يقف أمام هاتين الآيتين الكريمتين وغيرهما من الآيات القرآنية، التي تبين غاية الوجود لهذا الإنسان فوق هذه البسيطة. وإن ما يذهل هذا الإنسان تلك المقارنة التي تديرها قواه العقلية، بين حالتين؛ الأولى: ما توحيه هذه الآيات من ارتباط لوجوده بغاية محددة مُعَرَّفة، أرادها الله لهذا الإنسان، بحيث تجيء كل حركة في هذا الكون خادمة وخاضعة لهذه الغاية النهائية للوجود الإنساني في هذا العالم، المتمثلة بالقيام بواجب العبادة والاستسلام لخالق الكون والحياة والإنسان، ضمن تجربة عملية يخوضها الإنسان فوق كوكب الأرض، متعاملاً مع كل ما يحيط به من ظواهر وأحداث وحركات ومخلوقات بما لا يخالف

(١) من مجلة رسالة الإخوان- لندن – تاريخ تموز (يوليو) ١٩٩٨.

الناموس الإلهي، الذي أُعدّ لينتهي بهذا الوجود إلى نهايات محددة الوقت والصيغة و الأشكال. والثانية ما تقوم به غالبية وسائل الاتصال الحديثة من عمليات فصم بين هذا التصور الغائي المحسوب، وبين ما يجري على الساحة العملية من أحداث طبيعية أو مصنوعة بيد الإنسان..

لقد أقامت وسائل الإعلام الحديثة كياناتها، وفصلت خطابها بشكل عام، على قدر هذه المهمة المريبة، التي يُراد منها إيجاد إنسان معزول تماماً، عن فهم مرامي وغايات وجوده، إنسان منقطع تماماً عن موجده وموجد هذا الكون الذي يخدمه، إنسان يتحرك في حياته السياسية من خلال الغرائز الدنيا، التي تحركها شهوة البطن وغريزة الجنس وعصبيات العرق والطائفة والأنانيات الدنيا، ويتحرك في حياته الاجتماعية فرداً يعلو المحرك الذاتي الشخصي في داخله على أية دوافع جماعية أو روحية عليا.

وفي التفكير تجاه الأحداث الطبيعية، من زلازل وعواصف وحرائق وكوارث، بحيث ينأى إعلام التضليل هذا بالإنسان عن النظر إلى صلة هذه الأحداث بما يفعله هذا الإنسان من خراب وضلال وتيه، وإنها ربما تكون إنذاراً له من الله، وعقوبة له على ما صنعته يداه. في حين يربطها- تحديداً – بمسبباتها الفيزيائية، فضلاً عن إيحاءات إلحادية تفضح النيات والتوجهات القابعة خلف ذلك الخطاب العبثي التضليلي. مع أن هذه الأحداث لا تشكل في حس المؤمن إلا جنداً من جند الله يوجهها بإرادته في حركة مقدرة.. ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣١].

وإزاء ذلك كله تجد إنسان العصر يقف، ليتساءل ببلاهة: لماذا يرزح بنو الإنسان تحت جبال ذلك الشقاء الراسخ، رغم كل هذا التقدم العلمي ومواد الرفاه

والراحة التي تقدمها أدوات حضارة هذا الإعلام التشويهي..

إنه بسبب من كثافة الضلال الذي يتعرض له الإنسان ليل نهار، غاب هذا الإنسان غياباً شبه مطبق عن الغاية التي وجد من أجلها، وبسبب من ذلك أيضاً. وهذا هو الأدهى والأمر- لم يعد يعرف أن هذا الغياب بالذات هو السبب الأول والأخير لشقائه وحيرته وخوفه وقلقه، وشعوره الهائل بعبثية وجوده..

إن اعتقادنا الجازم يتوجه إلى الإعلام الإسلامي، ليلقي عليه تبعية كبرى في اتجاه إنقاذ إنسان العصر من هذه العبثية، وإعادته إلى الوعي بغاية وجوده، كما خلقها الله بدون أي تحريف؛ إذ يصل الإنسان من خلال ذلك التوجه إلى المبتغى المنشود..؟. الذي بدونه تضل الخلائق، ويختل ميزانها، ويسري فيها التضليل وقلب الحقائق والكذب والافتراء على أصحاب الرأي الآخر، بعيداً عن مناهج نجاة الإنسان الربانية المسكونة بالصدق والنزاهة والعدل. ولا بد هنا من إيراد أمثلة على خطل منهج الشقاء والمفتريات ومنها:

ما سمعته من اللواء المتقاعد فؤاد علام، في الحوار الذي أجرته معه قناة الجزيرة الفضائية القطرية، مساء الثلاثاء ١٤/ ٧/ ٩٨. حيث أصر الرجل على سرد كل المفتريات، التي وجهها انقلاب ١٩٥٢ في مصر إلى جماعة الإخوان، وهي المفتريات التي أفلحت الكتب والمقالات والاعترافات الكثيرة، التي أدلى بها العديد من المثقفين وأصحاب الشأن، في إدانة الاعتداء على الإخوان، وفي بيان خطل كل الاتهامات الموجهة إليهم، وفي توضيح الافتراءات التي حاول النظام المصري طوال العقود الماضية أن يلصقها بهذه الجماعة المجاهدة المصابرة النقية، التي بناها الإمام الشهيد حسن البنا على خط مستقيم منذ أول يوم، خط لا يعرف إلا الإخلاص لله، والصدق في العمل والكلمة، والدأب والمثابرة في النصح للأمة.

ولقد ذكرني إصرار هذا الرجل على الضلال وكذلك الكلام البذيء الذي جاء في مداخلة رفعت السعيد في الفضائية نفسها ضد الإخوان بقوله تعالى جلّ من قائل: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

إن اتفاق هذين الاثنين على لهجة واحدة من الزيغ، وانفلات عقلهما من حدوده الإنسانية والمنطقية- عند ذكر الإخوان- واتجاههما إلى اتهام الجماعة بالكذب رغم أن الجميع لا يعرف عنها إلا الصدق- بغض النظر عن اختلاف آراء الناس سياسياً فيها – إن ذلك لما يوحي: أن لهجة الاستكبار في الأرض من خلال الفعل انتقلت اليوم إلى الكلمة والصورة وشاشات الإعلان، لتثبت للناس جميعاً أنه ما لم يكن الإعلام دعوة إلى الخير، وإلى ما ينقذ الإنسان من كل ما يقوده إلى ظلم نفسه وظلم أخيه الإنسان، فإنه لن يفلح في بناء أساس إنساني للتفاهم، ولا بناء أساس معرفي يجمع، ولا بناء أساس مجتمعي متفاهم. بل إنه كان وسيبقى أداة هدم وتضليل وفرقة.

وهذا ما يدخلنا بسرعة إلى النظر في الرجل الإعلامي؛ أخلاقه، أفكاره، سلوكه، معتقداته، صدقه، إخلاصه للإنسان وللأمة والوطن، بصره وبصيرته، أفقه ومداه.. كل ذلك من أجل أن نصل إلى عبرة وفائدة ذكرها رب العزة في محكم كتابه العزيز وهي: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦]. فنفهم أن من دخلوا باب الإعلام من كوة الاستكبار والغفلة لن تكون قلوبهم إلا مصروفة عن التبصر في الحق والحقيقة، وذلك بسبب استكبارهم الذي دفعهم إلى التجافي عن حقائق ما جرى ويجري، وبسبب غفلتهم عن سنن الله فيما تجري به المقادير..

وإن المرء ليستغرب فعلاً أن تأتي وسيلة إعلامية متنورة برجل متهم، إذ جرت على يده وبمعرفته وترتيبه عمليات إرهابية سلطوية، أهدرت حياة الأبرياء الأسرى في السجون، واعتدت على كرامات الناس طويلاً، وذلك ليكرمه ويجعله يدير نقاشاً لمحاكمة حركة كان هذا الرجل جلادها في يوم من الأيام.

حقيقة: إنه تجاه فعل مستهجن كهذا يجدر بي أن أُذكّر مرة أخرى بالآية الكريمة: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ كما أني أجد نفسي مضطراً إلى القول: إن قلوباً لا تفقه، وعيوناً لا تبصر، وآذاناً لا تسمع، تتقلب اليوم فوق مساحات شاسعة من إعلام الأمة، تدير مماحكات، وتنفث طروحات حائرة، وتفشي زيغاً مريراً، وذلك كي يستمر إلحاق هذه الأمة بذيل القافلة، ولتستمر عملية إبعاد الخلص، فضلاً عن جلدهم، وإقصائهم، وتصفيتهم.

إن الإعلام اليوم يدور في غالبه حول قضية واحدة، أصبحت ديدن المتنفذين فيه، ألا وهي إفساد الحياة على الناس، وجعل المادة الغليظة بكل ما تعني هدفها وغايتها، حيث لن يأتي هذا المنهج للإنسان إلا بفكر الصراع والاقتتال والاختلاف والتفرق. ويبقى إعلام الإسلام هو الوحيد إلى جانب آخر من الإعلام ما زال متماسكاً يشعلان شمعة تبدو خافتة في هذا الخضم من الظلمات الكثيفة العمياء..

لقد قال سقراط فيما مضى لصديق له، أشفق على بصر سقراط لكثرة نظره في الكتب: «إذا سلمت البصيرة لم أحفل بسقام البصر». فهل يرعوي مثل هؤلاء الإعلاميون ومثل هؤلاء الرجال الذين أساءوا بأعمالهم للإنسان؟

٩- وفتحت كوة إعلامية

نحتاج إلى قنوات إسلامية لكسر حاجز التعتيم على الخطاب الإسلامي الوسطي، فقد أُغلقت المنافذ الإعلامية العامة أمام حركة الدعوة الإسلامية بعامة وجماعة الإخوان المسلمين بخاصة، وكانت ظاهرة مريبة، وغير صحية وغير ديمقراطية، ولا نكاد نستثني من الوقوع في إثمها أية وسيلة إعلامية في دنيانا، اللهم إلا تلك الصحف والمجلات التي قام على رعايتها وإدارتها إسلاميون منتمون أو متعاطفون مع تيار الإسلام وحركته المعاصرة. وإنك لتجد – بعد التدقيق- أن هذه الظاهرة لا تعني إلا الضلوع- عن قصد أو غير قصد- في مسيرة التوجه العولمي المبتغي إقصاء خصوصيات الأمة وتغييب صوت كل من يهدف أو يشير إلى وجود تيارات أو جماعات أو توجهات قوية أو ضعيفة في الأمة، تدعو إلى التمسك بالهوية والخصوصية الإيمانية والدفع بعناصر قوة ذلك التمسك في مقدمة المعركة، لتجعل لمجتمعات هذه الخصوصية وجوداً فاعلاً، ذات إمكانات بقاء واستمرار وقوة، تضع الأمة في مركز مرموق داخل ساحات المدافعة.. التي جعلها الله سنة من سنن قيام هذا لكون، والإبقاء على الحق قوياً منافحاً فاعلاً في الوجود.

وبعد أن قامت القنوات الفضائية التلفازية، وامتد تأثيرها على المستوى العام للناس، بازدياد المشاهدين والمتابعين لها، يوماً بعد يوم.. طال انتظار الحركات الإسلامية، كي تفتح تلك الفضائيات أبوابها بدون تردد أمام هذه الحركات، فيظهر صوتها، وتشاهد صورتها في تلك الفضائيات، وهما حق لها، كونها تمثل شريحة

هامة ومؤثرة في ساحة الأمة، وذهبت بأهل تلك الحركات الظنون، إذ كانت معظم تلك القنوات من صنع رسمي وتمويل رسمي، وهذا الرسمي عموماً مجافٍ- بغير حق- للحركة الإسلامية المعاصرة.. ومتجه إلى تغييب صوتها وصورتها الحقيقيين، بل ومنحاز إلى تسويق صورة شاذة مزيفة ومزورة عنها.. وهي كما ترون قضية.

لكن تنامي دور هذه الحركة الوطني، وتعالي توقيع صوتها وفعلها في حومة الرد على أعداء الأمة، وازدياد اقتناع الجماهير بتلك التوقيعات التي أحدثتها حركة تلك الدعوة في الساحات العربية والإسلامية جميعاً.. جعل من العسير الاستمرار بذلك التوجه الصامت غير المبين..

وقد كانت هناك محطات تملك إمكانات ممتازة من أوعية الإعلام المتقدم، كما أنها تملك بعضاً من حريتها في التصرف إزاء إتاحة الفرصة للكمة الصادقة النافعة، وتملك قدراً جيداً من التوق إلى إبراز الحقائق كما هي على أرض الواقع، لا كما يريد لها بعض من النافذين والنخب أن ترتسم في أفق الناس، جزءاً من عملية تضليل إعلامي وسياسي وفكري، امتدت منذ بدايات هذا القرن وحتى اللحظة التي نعيشها اليوم.

وقد استعملت تلك المحطات ممتلكاتها مشكورة لاستقبال بعض رجال الحركة الإسلامية على امتداد الزمن، فكانت لقاءات مع كثير من النابهين المفكرين الإسلاميين من بلدان عديدة في عالمنا العربي والإسلامي. ومنها لقاءات في قنوات عديدة كالجزيرة والحوار والمستقلة، ولم يكن ذلك كافياً وكانت الحاجة ماسة لافتتاح قنوات إسلامية مستقلة، من أجل كسر ذلك التعتيم على الحراك الإسلامي، ولبيان ما يجري على امتداد الساحات العربية والإسلامية من عدوان وإرهاب رسمي على

حركات الإسلام خصوصاً في سورية وفي مصر: حيث كانت أهوال وأهوال.

وكانت تلك القنوات ومن قبلها انفتاح المحطات عاملاً هاماً في إبراز مواقف الحركات المعتدلة الوسطية البعيدة عن تبني العنف، القريبة دائماً من هموم الوطن والمواطن، الذاهبة أبداً مع مصلحة الأمة وشعوبها وحرياتها وحقوقها الإنسانية المدافعة- عن حياض الأوطان ضد كل معتد أو مفترٍ أو مزور... ومع كل ذلك وفوقه فقد ساهمت تلك القنوات وما سبقها من مقابلات في إبراز حركة الإسلام المعاصرة حركة مادة يدها في كل حين لكل من يريد المصافحة من أجل سلم المجتمع وتقدمه، وتمسكه بدينه وحضارته وخصوصيته، ومن أجل امتلاك الأمة لأسباب المنعة والازدهار والرفاه والشورى الحقة.. فشكراً لكل قناة ممن أشرنا إليها وشكراً لكل إعلامي ساهم في العمل على كسر الحاجز المقام دون الرأي الآخر المعتدل. فهل بقي الأمر على حال هو الحق؟ كلا.. فالظالمون المعتدون على الحق لا يتركون الأمور تسير في طريقها السديد، وجاء الوقت في سورية وفي مصر- وهما البلدان الأكثر فاعلية والأشد تأثيراً في المنطقة- على غير المؤمل، بل كان الظالمون على حال من الإجرام غير مسبوق في البلدين. حيث أغفلت كل منافذ الإعلام الصادق، وأفسح في المجال للدجالين المطبلين ممن لا إمكانيات لديهم إلا أصواتهم الضالة المضلة، التي تحتمي بالعسكر وقوات المجرمين من المغتصبين للحكم وقطاع الطرق.

ولكن الله لكل هؤلاء بالمرصاد، وصوت الحق لا يمكن إزهاقه بل هو الذي يقذف الله به باطل هؤلاء فيدمغه إن شاء الله في وقت ليس بالبعيد فانتظروا إنا منتظرون: فلا يغترن أحد بانقلاب من عسكر مصر الفاسدين وقضائه الشارد، وإعلامه المهزلة المنحطة، كما لا يغترن أحد بأفاعيل هؤلاء وبراميلهم المتفجرة.

فإن شعبي البلدين كامنين لهؤلاء في كل زوايا الوطنين بغية تخليص البلاد والعباد من الفساد والقتل والاعتداء على حريات الناس وكرامتهم.

وما انفتاح كوة الإعلام أمام الحراك الإسلامي إلا بوابة ينفذ منها خطاب إعلام الحراك «أجنداته» المدافعة عن هوية أمتنا ورفعتها.

١٠- يثبت مقولة: في الإسلام: الإنسان كائن حضاري

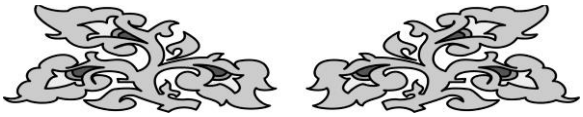

لا بد أن يدرك الإعلامي الإسلامي أنه إنسان متحضر، يحمل فلسفة الإسلام لتحقيق وجوده ومهمته في الحياة، وليلحظ أنه تطالعنا هذه الأيام موجة حثيثة للعودة إلى المقدس، والتفكر بما قاله هيغل؛ من الإيمان بالمطلق، من خلال التجريب في مجال الدين، كما يحب أن يؤكد الفيلسوف الفرنسي «برناد بوجوا». ولقد لعب الإعلام الحديث دوراً كبيراً في جرّ الناس إلى حضارة الأشياء «الغربية»، التي تعتمد في تنحية الدين والإيمان على البراغماتية الأمريكية، وعلى تجسيد تمثيلي أوروبي لمقدسات جديدة من الفنانين والسياسيين والمثقفين الحداثيين، الذين حلوا في الفكر الغربي- قائد حضارة الأشياء- محلّ مقدسات الأديان، التي أصبحت تعتبر في نظر الإعلام الحديث والإنسان الغربي صورة عن التخلف، وقيوداً تحد من تحقيق الإنسان لوجوده، بل إنهم زادوا على ذلك «حبتين» في العقود الأخيرة، إذ خصوا الدين الإسلامي بصفة الإرهاب، وألصقوها به زوراً وبهتاناً.

إن الإسلام في حقيقة الأمر، ارتفع بالإنسان، فنقله من حضارة العناصر الأرضية الشيئية، التي تقيم هذا الإنسان بما يتملك من عناصر الأرض والحياة، إلى حضارة العنصر الأعلى والأغلى في هذا الوجود، فجعل وجوده متحققاً بمجرد خروجه إلى الحياة؛ وحدد مهمته منذ أول لحظة يقف فيها على تراب هذه الأرض بإعمارها، وأن يبث حضارته الفطرية المركوزة في أصل خلقته على سطحها، منطلقاً

من أصل أصيل في تلك الفطرة يقول: إن هذه المهمة الإعمارية بكل وجوهها السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية تشكل مخ العبادة، التي خُلق هذا الإنسان من أجلها.

وبناء على ما تقدم فالإنسان في الإسلام كائن متحضر أصلاً، متحقق الوجود بدون فلسفات الوجود، وما عليه إلا أن يدرك فلسفة الإسلام العظيمة في ذلك، ويعتنقها، كي ينطلق كائناً حضارياً متوازناً إنسانياً قيمياً بانياً، لا شيئياً تحكمه عناصر التراب، التي تنتج إنساناً غير مدرك لحقيقة وجوده، فيكون بذلك- رغم كل الكم الهائل الذي يمتلكه من عناصر الأشياء والمخترعات- محبطاً متراجع الإنسانية.

فإذا أدرك الإعلامي الإسلامي الحصيف هذه المعادلة البسيطة- لدى من فتح الله بصيرته عليها- أدرك صعوبة مهمته من جهة، وقداسة هذه المهمة ورفعتها من جهة ثانية، فشمر ساعد الجد، وأدلج مرشديه في ليل الحضارة الشيئية، حاملاً إضاءة حضارته، التي تشع من خلال الآية الكريمة: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠].

وهو بذلك، يستطيع أن يتناغم مع الموجة الحثيثة، للبحث عن الحقيقة والحق فيها، التي بدأت تطل برأسها من داخل المجتمعات الغربية، التي ظلت زمناً مديداً تكبل إنسانها بحاجات جسده وهمومه اليومية، والخوف من المستقبل المجهول، واللهاث خلف اللذه، التي تحكم السيطرة على مشاعره ومنافذه، وتمسك بتلابيب حركته.

وبهذا التناغم تبدأ عملية الإنقاذ المطلوبة لكل البشرية.

ولا يظن الداعية والإعلامي المسلم أنها مهمة سهلة.

أبداً: إن الطريق وعر، وتضاريسه مملوءة بالنتوءات، والظلاميون المناوئون للفطرة السليمة، وحركة الإيمان في القلوب كما أودعها الله فيها أصلاً، يتربصون بالمبادرين إلى الإنقاذ، مسلحين بميديا كثيفة البث، شديدة البأس، باطشة اليد، منحرفة الفكر والحركة، متمددة فوق الأرض بكلكل لا يريم ولا يهدأ لحظة، ملاحقاً أية لمعة خير تحاول بثاً ناصحاً.

لكن هذا كله يجب أن لا يرهب الإعلامي الإسلامي، ولا يدخله في خانة اليأس من العمل والدأب في مهمته الإنقاذية، كما أن ذلك الزخم المعادي لا بد أن يكون حافزاً للإسلاميين القادرين مالياً وتقنياً على البذل الغالي والمبادرات الفذة في هذا المجال.. والأجر عظيم ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: ١٠].

فالصبر الصبر الذي يحمل شعاراً منطلقاً من الآية الكريمة: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

المبحث الخامس

من سمات البث الإعلامي المعاصر

١ - إعلام كالسحر

٢ - وإعلام فرض الأمر الواقع

٣ - والعوج والبث الفضائي المنحرف

٤ - طغيان في الوسائل.. كيف؟ وإلى أين؟

٥ - وعداوة لثقافة الإسلام

٦ - لماذا يلحون في السؤال: أين الخطاب الإسلامي؟

٧ - إعلام بواجهة واحدة... لماذا..؟

٨ - هذه الحيادية المزعومة..!

٩ - عبرة ديمقراطية إسلامية تفيد إعلام العصر

١٠ - وإعلام يقف في وجه الصحوة بحماقة وغيظ

١١ - وإعلام عبثي

١- إعلام كالسحر

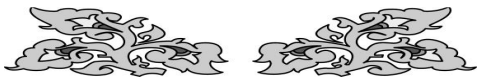

هل تحولت الوسيلة الإعلامية الحديثة في ظل الإعلام الأمريكي خاصة والغربي عامة إلى وسيلة السحر، كما كانت أيام الفراعنة الذين كانوا يضعون السحرة في واجهة مشروعهم الدعائي؟ لقد واجه موسى عليه السلام الفرعون بدعوتة لدين الله الذي كُلف بأمانة تبليغه في ذلك الوقت ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه: ٢٤].. فرماه الفرعون بالسحرة، وجمع له الناس ليكونوا شهداء على أفعال هؤلاء السحرة وعلى معجزة موسى..﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾[طه: ٥٩]..

إن ما يدفعنا إلى هذا الاعتقاد هو ما نراه وما نسمعه وما نشاهده من أخبار ومن مشاهد وحركات بهلوانية، تُبث في كل الوسائل، فتسحر أعين الناس وتغشي على بصائرهم، بمظاهر تختفي وراءها نيات ومداخلات وخطط وحقائق وأشياء تسترها الملامح السحرية، التي تتبدى في الابتسامات العريضة والكلمات الملتوية والحركات التمثيلية والمظاهر الخادعة، التي تطلق كلمات مثل حقوق الإنسان والحرية والشفقة على الناس، وهي في حقيقة الأمر تعني أمراً آخر، يبتعد كثيراً عن المعاني الظاهرة التي تحملها تلك الكلمات المعسولة.

إن هذا السحر الذي يملأ علينا- نحن أبناء هذا العصر- كل جوانب حياتنا، يسدَّ علينا منافذ الوصول إلى الحقيقة، كما كان سحر السحرة قبل موسى عليه

السلام يسدّ على الناس في ذلك العصر طريق معرفة الحق المبين، فيظلون يسجدون لفرعون ويطيعونه الطاعة العمياء، التي وصفها الله تعالى في محكم كتابه العزيز بقوله: ﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ ﴾ [الزُّخرُف: ٥٤] .

ويبدو أن صيغة هذا الأمر في وسيلة السحر، أصبحت سمة للإعلام فمضى في ثبات في طرح المشروع النفعي الأمريكي، الذي يتستر بتلك الحركات والعروض السياسية والفكرية الملتوية والبهلوانية التي تعرض وتطرح مقولات، إذا أخذها الرائي بفهم حاسة الإبصار المباشرة فقط، وقع في الوهدة التي وقع فيها رعايا فرعون أيام موسى عليه السلام وما قبله.

وإنك لترى هذا المشهد السحري للإعلام الأمريكي واضحاً من خلال لوحتين اثنتين: اللوحة الأولى هي التي تبدي الحرص على حق الإنسان وحريته، وتنثر شتى الاتهامات لكل ما هو إسلامي فوق تلك اللوحة، مع أن الإعلام الأمريكي يستغرق في نوم عميق، سكوتاً على انتهاكات حقوق الإنسان الجارية ضد الإسلاميين من قبل كثير من الأنظمة العربية وغير العربية، لأن هذه الأنظمة تسبح في تيار السياسة الأمريكية. وتقوم بما تريده وترغبه من حصار الحراك الإسلامي.

أما اللوحة الثانية فهي أيضاً من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى كثير شرح، فها هي دولة الصهاينة تصول وتجول، فترفض ما تشاء من قرارات هيئة الأمم المتحدة، وتجمد ما تشاء منها، وتهزأ بما تشاء، وتضرب الشعوب المجاورة يميناً وشمالاً، فلا يقول لها أحد لماذا فعلت ذلك أو على الأقل يكفي ما فعلت.. بينما يحاصر العراق وشعب العراق منذ سنوات ويجوّع ويقتّل أطفاله بحجة مخالفة قرارات المنظمة الدولية، وهو في واقع الحال لا يزال منذ عام ١٩٩١ ينفذ تلك القرارات بكل دقة..!..

وها هو الشعب السوري اليوم يذبح وتدمر حياته وممتلكاته على يد المجرمين المغتصبين لحكم البلد، والعالم وإعلامه يتفرج على البراميل المتفجرة تنتهك الحياة في حلب وغيرها، فلا يتحرك هذا العالم بكلمة، بل إنهم يضجون في إعلامهم من دخول أفراد- قد تكون السلطة قد أوجدتهم وأطلقت يدهم، كما هذا العالم لا ينبس ببنت شفة بشأن عشرات الآلاف من الميليشيات الصفوية الإيرانية والعراقية ومن شبيحة الحزب الصفوي اللبناني الغادرة. ولا ينال هؤلاء من هذا العالم ولو كلمة ردع واحدة ولو كانت شكلية.

أفيبقى مفعول السحر الإعلامي هذا ماضياً في التضليل إلى ما لا نهاية؟ أم أن السحر سوف ينقلب على الساحر في لحظة ما؟ كما انقلب على فرعون، فغرق في بحر موسى، الذي انحسر ثم عاد بأمر الله، وصدق الله العظيم القائل:﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].. وهو بالمرصاد اليوم للفرعون الجديد القاتل الذي انقلب على الشرعية في مصر.

وها هو هذا الإعلام الساحر يتناول قضية التسوية بين الأمة والصهاينة..! وإن أخطر ما في قضايا التسوية بين الصهاينة والعرب، قضية تحويل الترويج الإعلامي للتسوية إلى مكاسب سياسية تصب في خانة الطرف الصهيوني. فالضخ الإعلامي الكثيف، الذي يدور حول الموضوع، لا بد وأن يرسخ في أذهان القارئين والسامعين والمشاهدين في جميع أنحاء العالم أن القضية القائمة في منطقتنا بين الصهاينة والعرب، ليست إلا مشكلة خلاف حول قطعٍ من الأرض، يحاول كل طرف أن يحصل على الحصة الأكبر منها، أما صلب القضية الذي هو الأساس في الأزمة القائمة منذ ما يقارب القرن من الزمان، والتي تتمثل في إنهاء وجود شعبٍ وكيانٍ عربيٍ مسلمٍ، وإقامة وتدعيم اغتصاب شعب غريب معتدٍ، على حساب

ذلك الكيان العربي المسلم وشعبه، ليكون الكيان الجديد الغريب رأس حربة لكل سياسات الهيمنة والتسلط وإلغاء الهوية، التي تحاول القوى الغربية فرضها في منطقتنا. وذلك بسحر إعلامه المؤدي كما قلنا على طريقة فرعون وسحرته.

أما هذا الأساس والقاعدة في الأزمة؛ فإن الإعلام الصهيوني والغربي، ويشاركه في هذه الأيام الإعلام العربي والإسلامي، يتجه إلى طمس هذه الحقيقة، من خلال التركيز على – قطع من الأرض، هنا وهناك وليس على رفض وجود الكيان الغريب من أساسه. ويبدو أن الإعلام العربي استمرأ اللعبة، متبادلاً العجز مع الخطاب السياسي ومع الهزيمة النفسية الداخلية عند العرب والمسلمين، الذين راحوا يقرون شيئاً فشيئاً بالوجود الغاصب الغريب والجسم النشاز القائم في وسط الأمة، وصولاً إلى حالة تذويب هوية هذه الأمة، التي تفسح المجال لهذا الكيان، ليكون جزءاً هاماً- بل الأهم- في المنطقة.

ولقد انتهت هذه اللعبة الإعلامية المشاركة للخطاب السياسي العربي والإسلامي الواهن إلى إجماع رسمي عام، عندما اكتفى مؤتمر القمة الإسلامي من المعركة بسلامة الإياب، فأقر مطالب (التراب وقطع الأرض)، ولم يتطرق إلى أصل المشكلة أو جوهرها، الذي ذكرنا آنفاً، وذلك من أجل الحفاظ على أدنى حدٍّ من التوافق والاتفاق داخل «كواليس» المؤتمر.

إن حقوق أمتنا وهويتها وحضارتها مهددة جميعها بمثل هذا الترويج الإعلامي وسحره، الذي بدأ يؤتي أكله لدى الدول والشعوب الأخرى، التي راحت تتهافت على إنشاء وتجويد العلاقات مع الكيان الصهيوني الشاذ في منطقتنا، بدءاً بالكيانات الأفريقية الضعيفة، ومروراً بالكيانات الآسيوية الكبرى كالصين، وإنتهاء بمجموعة الدول المسلمة المستقلة عن الاتحاد السوفييتي.

وقد كان للترويج الإعلامي الفلسطيني الرسمي لأشكال التعامل والتوافق مع الصهاينة أكبر الأثر في دفع هذا الاتجاه العالمي. على طريقة سحرة فرعون بتضليل أبصار الناس وإبعادهم عن الحقيقة.

ولم يبق في الساحة إلا الإعلام الإسلامي (المستقل عن وسائل الإعلام الرسمية)، ليشكل خط الدفاع الأخير عن هوية هذه الأمة، وليوقف – قدر استطاعته- ما يمكن إيقافه من حالة اللاوعي التي تجتاح الأمة!.

وليذهب السحر إلى غير رجعة، وليغرق أصحابه في بحر الكذب والتزوير الذي يديرونه: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١] و﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].

٢- وإعلام فرض الأمر الواقع

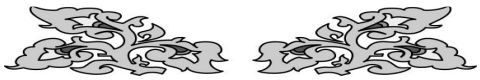

كلما بزغ نجم صرعة جديد في هذا العالم، انبرى معظم الإعلام في بلاد العرب والمسلمين إلى الترويج لهذه الصرعة، وذلك بطريقة عجيبة غريبة، إذ يبدأ هذا الإعلام بمهاجمة الصرعة، وبيان فسادها، وتوضيح تأثيراتها السلبية وأحياناً الكارثية على الوطن والأمة والاقتصاد والسياسة... وغيرها...

ثم يلوي هذا الإعلام أعنته- من خلال هذا الهجوم الصاروخي الكاسح بالكلمات الطنانة على الوافد الجديد- ليقول للإنسان العربي والمسلم: ومع ذلك فقد أصبح هذا الوافد أمراً واقعاً، وقدراً مقدوراً، يجب وعيه واستيعابه والدخول فيه، وفي معترك التعامل معه، وذلك من خلال امتلاك التكنولوجيا والمعلوماتيه، والثقافة اللازمة، للعب داخل هذا المولود الجديد، وطبعاً فإن كل هذه الممتلكات من صنع أهل ذلك الوافد، وموضوعة لخدمتهم.

إن هذا القول الآنف الذكر، تصدقه الوقائع الإعلامية، التي استقبلت مفهوم ومصطلح «النظام العالمي الجديد»، وهي تعيد الكرة اليوم، وبالأسلوب نفسه، في استقبالها لمصطلح ومفهوم «العولمة»، الذي استولد أصلاً من رحم المصطلح السابق، بهدف إعطاء ذلك المصطلح، صيغته العملية الحياتية اليومية، كي لا تبقى الأمور تراوح عند حدود التنظير والكلام الذي لا يفيد ميدانياً، ولا يفيد في شيء.

لقد جرد الإعلام العربي والإسلامي حملة شعواء على مصطلح «النظام العالمي الجديد» وفتح عليه النار من كل الاتجاهات وبالذخيرة الحية، حتى إذا

اطمأن القارئ أو السامع أو المشاهد إلى المقولات المنطقية، التي تبين أبعاد هذا النظام بصورته الأمريكية السافرة، التي توحي مباشرة بشرهها الهائل للهيمنة والسيطرة وفرض نظريات الصيغة الحياتية الأمريكية بكل جوانبها على حياة الآخرين، بهدف إلغاء خصوصياتهم، وبالتالي هوياتهم الوطنية والعقدية والفكرية والثقافية والاقتصادية والسياسية والعسكرية. وتركهم أشلاء يحاول النظام الأمريكي الجديد تشكيل كياناتهم، كما يشاء له مزاجه ومصلحته ومصلحة الصهيونية، التي تقبع خلف حركته وتحركه وقراره في منطقتنا.

ثم ينتقل هذا الإعلام في المشهد الواحد أو في المشاهد المتعددة، إلى الترويج لهذا المصطلح من خلال الجزم والحتم بأن هذا النظام أصبح واقعاً وقدراً لا مناص لأي كان في هذا العالم من التعامل مع معطياته وحركته وصرعاته، ولو أن هذا الإعلام وهؤلاء الإعلاميين دعوا إلى التعامل مع هذا الجديد من خلال فهمه ووعيه، ومن ثم التمسك بعناصر الهوية الوطنية والعقدية للأمة، ومن خلال المعطيات الخصوصية لها والإمكانات المتاحة لها، ومن خلال تهيئة كل هذه القضايا لمواجهة هذا الوافد الهادف إلى مسح صورة كل شيء وإحلال صورته مكانها. لو أن هذا التعامل جرى على هذه الشاكلة لقلنا إنها دعوة كريمة جديرة بالنظر ومن ثم الالتفاف حولها.

أما وإن الدعوة من هذا الإعلام متجهة إلى اعتبار الوافد قدراً مقدوراً يجب الدخول إلى ساحته ومعترك صرعاته، والتسليم بلا حراك (لأجنداته)، وعناصر اللعبة التي يديرها، وذلك من أجل اللعب معه، ضمن الخطة التي رسمها، والخطوط البيضاء والخضراء والصفراء والحمراء التي خطها بمعرفته، وعلى مزاج الهدف الذي يرمي إليه.

أما وإن الحال كذلك فإن من واجب الإنسان الواعي في هذه الأمة أن يتوقف ويتأمل طويلاً تلك الضجة الإعلامية الجديدة، الداعية إلى استيعاب صرعة «العولمة» التي هي الصيغة العملياتية لتطبيق منظور صرعة «النظام الأمريكي الجديد»، حيث تقضي هذه الصيغة بجعل العالم سوقاً واحدة مفتوحة لهيمنة حقيقة واقعة، مستخدماً في ذلك التشريعات الدولية، والاتفاقات القسرية «الغات» ومؤتمر الأرض وغيرها وغيرها من الأمور التي ترتب في الدهاليز والكواليس، ثم تعلن بصيغ تظهر للغافلين من الأمم على أنها أقدار لافكاك لأي شعب من الدخول فيها، والانصهار في بوتقتها، ويأتي الإعلام ليروج لها على طريقته المبتكرة التي ذكرناها، ولكن الواعين في هذا العالم ليسوا قلة، والمتربصين بالمنكر ليسوا هنوداً حمراً.. بل هم من القابضين على الجمر، يسابقون الزمن مع هؤلاء المكرة وهم يرددون: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[الأنفال: ٣٠] كما يرددون قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠].

٣- والعوج والبث الفضائي المنحرف

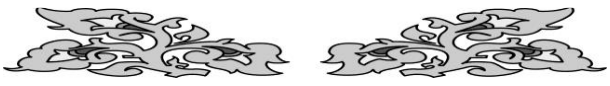

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ..﴾ [الأعراف: ٤٥] .

يقولون لك: إنها وجهة نظر، الرأي والرأي الآخر.. ولو أنهم اقتصروا في البث على الشأن الدنيوي وما يخصه من علوم طبيعية وصناعة وغير ذلك لهان الأمر، ولكنهم يجلسون أمامك في شاشات الفضاء الصغيرة ليصبحوا مفتين في الدين والقرآن والفقه.. وإنك لتجد الواحد من هؤلاء (الجهابذة)! لا يفقه من دينه، وحتى من لغته العربية إلا لماماً وحواشي لا تسعفه في النطق العربي السليم، لكنه ينصب نفسه شيخاً للإسلام، وعنواناً يشار إليه بالبنان، يجب أن يسمع له، وأن يؤخذ عنه ولا يرد.. وذلك ديدن أنصاف المتعلمين الذين لا يعرفون أقدار أنفسهم، لأن الذي يعرف قدر نفسه قال من قبل قولته المشهورة الفذة «كل منا يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر»... وكان يشير بذلك إلى قبر رسول الله ﷺ.

والطامة الكبرى أن بعضاً من هؤلاء «المفتين» الصناديد ليسوا مسلمين أصلاً.. فتصور!!! ... إنهم يحاولون أن يبنوا فوق ثرثرتهم في الفضائيات قباباً ومقامات، يظنون- وهماً منهم- أنها ستكون مزارات مهيبة، وما دروا أن الناس في أمتنا قد شبوا عن الطوق، وارتفعت وتيرة وعيهم، حتى وصل بهم الطوق إلى تقويم إملاءات كل المقامات التي صنعتها الشاشات وبثها المنحرف في كثير من الحالات، وذلك ليس فيما يخص «الفتاوى» في الدين وحسب، بل وفيما يخص الحياة وسياستها واقتصادها واجتماعها وثقافتها.

وأصبح لدى الناس تقويم خاص لكل واحد من هؤلاء «المدعين»، ولكل طلة من طلاتهم التي لا تبهج النظر، ولا تسر النفس في أكثر الحالات، ومعظم الطلات..

ألا فليتواضع أمثال هؤلاء ولا يُدلّوا ويتعاظموا فقد قال الله رب العزة في أمثالهم قولاً هو الفصل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ

مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ١١ - ١٢].. كما قال جل من قائل: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ... ﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤].

لقد كشفهم رب العزة للناس، وبين لهم حقيقة غطاء الفيهقة التي يحاولون بها إخفاء العوج الذي يدعون إليه، والانحراف الذي يجرون بعض السذج إلى أحضانه، متظاهرين بالواقعية والواقع أحياناً، أو التقدمية والتنور والتحضر أحياناً أخرى.

إن ما جعلني أتطرق إلى هذا الموضوع وأخوض فيه لقاءان شاهدتهما في فضائيتين.. (الجزيرة.. والعربية).

ففي الجزيرة... يوم ١- ٤- ٢٠٠٥ وفي برنامج «من واشنطن»، وصف السيد «ج. خ» الصحفي اللبناني المعروف الصحوة الإسلامية بقوله: سمها صحوة أو تصحراً دينياً أو رّدةً دينية.. وعقب على ذلك مغتاظاً: في الإسكندرية تجد اليوم (٩من ١٠) من الطالبات محجبات، أنا أعرف الإسكندرية من قبل، لم يكن فيها محجبات أبداً... موحياً بذلكم لمن يشاهده أن صحوة الإسلام تصحر وردة (وهذه فتوى)... ثم هو يوحي باغتياظه من حجاب النساء في الإسكندرية المصرية المسلمة بأن الحجاب أمر مرفوض وغير عصري وغير حضاري (وهذه أيضاً فتوى).

وفي المرتين ادعاء من هذا الصحفي أنه يريد إصلاحاً، وأن الصورتين المعروضتين يعكسان فساداً وتخلفاً!!.

وفي العربية ... يوم ٤-٤-٢٠٠٥ وفي برنامج صحفي اسمه «أخر طبعة» تستضيف مقدمة البرنامج أكاديميا من جامعة «بيرزيت»، ليجيب على سؤال حول حق المرأة في الانتخاب والترشيح، حيث تعرضت المذيعة لمقال في إحدى الصحف،

يرفض هذا الحق من ناحية عملية... فتكون فتوى الأكاديمي أن للمرأة حقاً في هذا الأمر يفرضه الواقع الذي نعيشه، والتطور الذي يحيط بنا.. وكأنه يستحيي من التطرق إلى ثبوت هذا الحق في شرعنا الإسلامي، وكيف أن جمهور الفقهاء في عصرنا أخذوا به.. وحركة الأخوان المسلمين أخذت به قولاً وعملاً، وذلك بإعادة هذا الحق إلى الواقع. والتطور يذكرنا بمرجعية الواقع التي اتخذها الكثيرون- اليوم – ديناً وعقيدة يحتكم إليها ويرجع لها في كل ما يخص شئوننا الحياتية، خصوصاً تلك الشئون المتعلقة بالسياسة والحكم والأوطان والدفاع عنها...

يريدون منا أن نتنازل عن أرضنا وحقنا وكرامتنا «كرمى لعيون الواقع»... فهم يعيشون لحظة الهزيمة وحسب...!!.

٤- طغيان في الوسائل .. كيف؟ وإلى أين؟

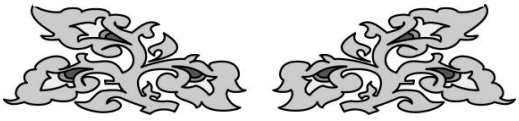

طغيان في الوسائل .. كيف؟ وإلى أين؟[1]

ألقيت بالصحيفة جانباً قائلاً: لا حول ولا قوة إلا بالله، شر البلية ما يضحك..! «جيمس روبن» المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية يقول: «الكل يعلم أن «حماس» تهدد أمن جميع شعوب الشرق الأوسط، وتشكل خطراً على الإسرائيليين الذين تعرضوا للقتل على يد هذا التنظيم المتطرف، وكذلك الفلسطينيين أنفسهم»..

ترى هل ما قرأته علم أم حلم نوم في يوم أمريكي إرهابي قائظ...؟!..

هؤلاء الأمريكان الذين حالهم هذا الحال هل يحق لقائلهم اليوم: الوقوف فوق المنابر، مدعياً أن الفلسطيني المظلوم الذي اغتصبت أرضه وكرامته إرهابي وقاتل وعدو للشعوب، بسبب وقوفه عنيداً في وجه المغتصب الجلاد، الإرهابي الحقيقي المتزيي بزي الحضارة المارقة..!..

وكيف يقف ذلك المدعي ليقول مثل هذا القول وأين ومتى؟. إنه يقول كل ذلك، في (وايت بلانتيشن)، المكان الذي جمع فيه الأمريكان الجلاد الصهيوني.. مع البائع الفلسطيني.. المتخلي عن كل شيء من أجل أن تظل له سجادة حمراء، ومشية عسكرية استعراضية، ومطار تحط فيه طائرته، وفرقة أمن مهمتها التنكيل بكل من يعارض مزاجه معتمداً على وعود الرئيس الأمريكي، الذي لم يؤتمن على موظفات عملن معه في أكثر من مكان، حتى يؤتمن على عهد أو ووعد يقطعه على نفسه، لمن يراه يبيع ويبيع غير آبه إلا بكرسيه، ولسان حاله يقول: ليكن بعد ذلك الطوفان..!.

---

(1) من مجلة رسالة الإخوان العدد ١١٢ تاريخ ٢٠/ ١٠/ ١٩٩٨م.

«**لا حول ولا قوة إلا بالله**». وسائل الاتصال الهائلة تنقل هذا الكلام المعوج، الذي يقلب الحقائق، فيجعل الكذب صدقاً والصدق كذباً.. على أنه الحقيقة التي لا مرية في صدقها، ولا يجب أن يتردد أحد في استقبالها وقبولها. وبناءً عليه فلتحارب حماس وكل من له حق ضائع، يريد السؤال عنه.. ليحاربها الفلسطيني، ليحاربها العربي.. ليحاربها الأمريكي، ليحاربها الأسود والأبيض والأحمر والأصفر فهي في نظر وسائل الاتصال عدوة الإنسان أينما كان..

أرأيتم كيف تدار وسائل الاتصال؟

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦ - ٧]؛ حقيقة إنه الطغيان.. طغيان أمريكي عمَّ وطمّ فوق كل شيء، فقد رأت أمريكا نفسها وبين يديها قوة هائلة، وغنى فاحش، ووسائل اتصال لا تجارى.. وبما أن هذه كلها تبعث في الإنسان حس الطغيان، فلماذا لا يطغى المنبر الأمريكي للاتصال، فيقلب الحقيقة كلها، وينقل عناصر المعادلة، فيغير أماكن طرفيها بشكل كامل؟ إذ إنهم (المتلقين) ما زالوا يهرعون إلى ساكن البيت الأبيض، واضعين قضاياهم بين يديه ليحلها لهم، وليحكم في مصائرهم، التي أصبح هو صاحب القرار الأوحد فيها.. وذلك رغم كل ما رأوه منه من خفر للذمة، ومن تعامل بالإرهاب الرسمي المنظم مع كل من يحاول أن يحافظ على هويته وكرامته، أو يرفض الخضوع للإملاءات والأوامر..

ألا ترون أن وسائل الاتصال الجبارة أصبحت ملك يمين لمن طغى وبغى وآثر الوقوف إلى جانب الباطل بدون تردد.. إنه طغيان المنابر الإعلامية التلفزيونية الفضائية وغير الفضائية التي ينفق عليها بلا حدود، لتؤهل بسحرها الجماهير للاستماع المجاني، والتلقي الخامل لما يقال ويملى من نصوص فوقية أَخْلت شققها

من كل القيم، وجعلتها مشرعة الأبواب والنوافذ على المصلحة والمصلحة الشوهاء وحسب.

فهل يا ترى نستطيع القول: إن هذا المشهد الفتاك هو نهاية المطاف للاتصال بالجماهير؟ أم هو النهاية التي أراد «فوكوياما» لكل ألوان العالم أن تحلم بها؟ كلا والله.. لن يكون هذا ما دام قول الله سبحانه وتعالى يتردد في الآفاق: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ٦ - ١٤].

٥- عداوة لثقافة الإسلام

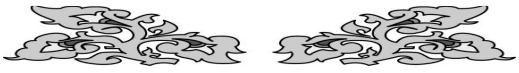

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [الحج: ٨] هؤلاء المجادلون المخاتلون المتقعرون اليوم، الشاتمون لأمتهم، الجاحدون لتاريخها ونضالها، والعادون على مناهجها وعقائدها وثوابتها باللعن والتوهين والتهوين.. هؤلاء القردة المقلدون؛ الذين جعلتهم الظروف الشاذة متسلطين صغاراً

جاهلين على أغلى صفحات الإعلام بتعدد رسائله ومنتدياته.. قال فيهم المفكر الكبير محمد فريد وجدي يوماً في كتابه القيم «الإسلام في عصر العلم) قولاً ما يزال صالحاً لوصفهم وإعطائهم مقامهم ومكانتهم وقدرهم، إذ يقول واصفاً الأمة بالأم التي ناضلت حتى أوصلت أبناءها إلى المجد، ثم نامت تستريح من وعثاء المسير فلما أفاقت وجدت: «هذا اللغط المصمّ، وهذا العقوق المستغرب، جاهدت لأجلهم جهاد الأبطال في وسط المزاحمات الهائلة، وكافحت لحفظهم كفاح الإقبال في معمعات المقاومات العنيفة، ثم جعلتهم بعد شدة التعب، وعظم النصب في حضنها فأنا متهم ليستريحوا، واضطجعت لتستريح معهم، فلم تكد تُتِم دور نومها الطبيعي حتى استيقظت، فوجدت أن أولئك الأبناء قد أصبحوا كلهم فلاسفة بغير علم، وأساطين شرائع بغير فهم، وأطباء عمرانيين بغير حكمة، وانتقاديين بغير لطف، إلى أي جهة لفتت وجهها رأت هذا يتفلسف ويتقعر، وهذا ينهج لها شرعة السير ويتعسف، هذا يعلمها طرق العمران ومناهج المزاحمات ويتكلف، وهذا يلفحها بسموم الانتقاد، ويشتم منها الآباء والأجداد، ويزعم أنهم سبب تعاسته ومثيرو شقاوته..» ص ٧٣٤ وانظر في ذلك ما فعله في مصر اليوم من تفلسف بلا علم، ومن ادعى الفقه والتشريع بلا فهم، ثم من جاء بلا أخلاق ولا حفظ عهد ليعلن على الناس انقلاباً فاسداً طاغياً فاجراً.

وأضيف: لقد وصل الأمر ببعض هؤلاء إلى التعليق على الفقرة الخامسة من ميثاق (الأيسيسكو) القائلة «يجعل الثقافة الإسلامية محور مناهج التعليم في جميع مراحله ومستوياته» فيقول فض فوه، ونالت منه راجمات الخزي: «لماذا التمسك بإضفاء صفة دينية على نشاط بشري عقلي يشارك فيه متدينون وغير متدينين» ثم يضيف هذا الجاهل المتعالم: «أليس في هذا قسرٌ وإكراهٌ على (توحيد) ما لا يمكن

توحيده وعلى التماثل والتشابه، مما يلغي الاختلاف والتنوع والتعدد، أي مما يلغي جوهر الإنسان وخصوصية الحياة الإنسانية»[1].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ [الحج: ٨].. إن هذا وأمثاله لا يرون حتى ما هو أمام أنوفهم من أوضاع وحياة وما يدور في أمصار وفدوا إليها سعياً وراء القامة التي لا تعدو كونها أنانية ذاتية، يهدمون في سبيلها كل أطواق الحماية في أمتهم، التي يدّعون الانتساب إليها زوراً وبهتاناً، أفلا يرون إلى ما بين أيديهم من حياة أوروبية اعتمدت المسيحية- رغم ادعاء الفصل بين الدين والدولة- أساساً حضارياً لها؟ أفلم يسمعوا بتفوهات (بوش) المسيحية المتعصبة؟ أفلم ينظروا إلى جنازة البابا كيف اجتمع لها الملايين من الأوروبيين باكين مودعين، وعلى العهد موثقين مسيرتهم؟ أفلم ينظروا أمام أنوفهم كيف أن الاختلاف والتنوع الذي هاجروا إليه يحتكم إلى مرجعية رأسمالية ليبرالية متشددة اقتضت منهم أن يفكروا ويقرروا منع الآخر حريته في تطبيق شؤون دينه من مثل ارتداء الحجاب، ومن مثل الضغط عليه لترك معتقداته ليذوب ويلتحق بكل مفترضات عولمتهم المحلية- تحت مسمى الانسجام-؟ ﴿مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾[الصافات: ١٥٤]؟ ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾[الحج: ٤٦]؟ أفلا يتدبرون.. كيف يكون التنوع؟ وكيف هي التعددية؟ وكيف هو الاختلاف القائم بين الناس؟ إنه التنوع المثري الساري داخل منظومة جمعية واحدة لها مرجعية واحدة، وإنها التعددية التي تأتي بصورة إبداعية لكيفية تطبيق الأساس وقدسيات المرجعية، وإنه

(١) أدونيس/ الحياة ١/ ٤/ ٢٠٠٤.

الاختلاف الذي يعطيك حلولاً متنوعة للمعضلات والمشكلات التي تنتج عن المواءمة بين المرجعية، وبين مسيرة التطور المحتاج إلى اجتهاد.. إنهم يتعددون ويختلفون ويتنوعون ولكن داخل المسيحية الليبرالية الرأسمالية.. فلماذا لا يكون لنا أيضاً هذا التنوع والتعدد والاختلاف داخل الإسلام والحرية التي دعا إليها، والمناهج التي أسس لها وقنن لها محاور عامة، تُنضج لكل عصر ومصر رؤى وحلولاً وتطبيقاتٍ مناسبة تستوعب العصر والمستجد، ونكون بذلك قد ضَمِنّا أموراً منها:

١- وحدة عامة لا تشتت الجهود ولا تفرق الناس بالركض وراء المرجعيات الأخرى غير المناسبة، بحيث نجيب على أسئلة العصر الملحة، وليست المفتعلة الخبيثة من مثل قضية إمامة المرأة في الصلاة التي مات سؤالها قبل أن يولد، ومن مثل قضية العمل بالحدود في الإسلام.. تلك القضية التي لم توجد أصلاً في الواقع؛ لأن الحكم مغيب أصلاً.

٢- ودخولاً في العصر ممتطين الأسس ومحتفظين بذاكرة الأمة الجمعية.

٣- والتزاماً بسنة التطور والتقدم غير المتعسف، الذي لا يبهره مشهد اللحظة العابرة التي عليها الأوضاع اليوم، فيكون الالتزام حينئذٍ ذا نظرة واسعة الأفق، بعيدة المرمى، حافظة لتوازن الزمان والمكان الممتدين لا المتوقفين عند برهة مارقة، وهذه هي سياسة الإسلام في استيعاب أي عصر، لا جمود، ولا جموح، ولا جحود، بل هو نظرٌ ونقدٌ وتفكرٌ وإبداعٌ تتجاوز جميعها حدود النقد الهدّام والرفض الجاحد، يدفع بهما أناس شعوبيون، ينتمون إلى هذه الأمة بأسمائهم وأماكن ولاداتهم، وفي واقع حالهم هم معادون جاحدون ومنبوذون إلا من أناس على شاكلتهم يفكرون، وفي دائرتهم يدورون، محاولين عبثاً قيادة هذه الأمة إلى البوار بفجورهم

وجحودهم، وقد قاد أمثالهم من قبل مملكة الإسلام العباسية إلى السقوط يوم أن كان مثل هؤلاء أعزاء فيها، وقد قال الشاعر المجيد يومها يصف ذلك:

يـــا بـــؤس بغـــداد دار مملكـــة ... دارت علـــى أهلـــها دوائرهـــا

أمهلـــــها الله ثـــــم عاقبهـــــا ... لمـــا أحاطـــت بهـــا كبائرهـــا

ورقّ بها الـدين واسْـتُخِفّ بـذي الـ ... فضـــل وعـــز الرجـــال فاجرهـــا

وصـــار رب الجـــيران فاســـقهم ... وابتـــزَّ أمـــن الـــدروب شـــاطرها

إن هؤلاء ليسوا إلا معاول الهدم الخفية؛ التي تريد هدم البناء لا لتقيم بناءً مُجْدِياً مبدعاً بل لإحلال بناء الآخر، وزرع زرعه في تربتنا التي من المستحيل أن تنبته.. بل تتحول به إلى أرض قيعان لا تحفظ ماءً ولا تنبت زرعاً، وبذلك تصبح عالة مهيضة الجناح، وهو ما يريده الآخر الذي استقبل (أدونيس) وأمثاله، وجعل لهم قامات يتحركون بها في ساحاتنا.. ولكن خاب فألهم جميعاً.. فإن أمتنا بفضل مرجعية الإسلام والإيمان وإبداع المجتهدين عصية على هذا الخراب.. وقد وعدها ربها ووعده الحق بأنها باقية ببقاء المهتدين فيها، وهم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «الغرباء.. الذين يصلحون عند فساد الناس» رواه مسلم. وقال أيضاً: «سددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيئاً من الدلجة والقصد القصد تبلغوا» رواه البخاري.. وقد اهتزت وربت طلائعهم منذ عقود على وقع دعوة المجدد الإمام الشهيد البناء - 6- وها هم اليوم يشكلون جبهة المقاومة وجدار الممانعة؛ الذي يدفع برايات البقاء والارتقاء والتجديد المؤسس إلى مقدمة الصفوف في هذه الأمة التي قال فيها

رب العزة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[آل عمران: ١١٠] وبهذا النهج يستوعب العصر، لا بنهج توزيع الأوصاف والتهم الغادرة، يطلقها من لا يملك التصنيف، أو من ليس مؤهلاً ولا مسموع الكلمة في الأمة ليقوم بذلك التصنيف الجاحد يخص به أهل الشرف في حمل دعوة الله في هذا العصر.

ومن هنا كان الإعلام أداة فاعلة في دحض ترهات هؤلاء وأمثالهم إذا تعاملت معه عقول نظيفة، لا تنفك عن أصول الأمة لكنها عصرية في المواءمة بين الأصول وبين مقتضيات الزمان والمكان، بغير مماحكة ولا عنت أو ليٍّ لا عناق للنصوص.

٦- لماذا يلحون في السؤال:
أين الخطاب الإسلامي؟

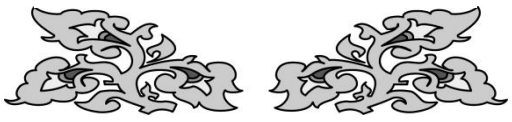

قال تعالى: ﴿...وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[سبأ: ٢٤].

أينما اتجهت، وحيثما حللت يطالبونك بخطاب إسلامي، ويشترطون عليك أن يكون هذا الخطاب حاملاً سماتهم، وتضاريس وجوههم، ونبض توجهاتهم، لا أن يكون ممتداً مع أصالته، أو آخذاً لون هويته، دون طلاء غريب عجيب، يجمع الألوان المشوهة من كل مصرٍ، بغية إبعاده عن صورته السوية، المبنية على أسس وقواعد من التراتبية التاريخية، والأصولية الموائمة للمناسبة والمكان والزمان، بلا عنت ولا ليّ للنصوص، لزحزحتها عن غاياتها العليا، وسلوكياتها الغالية، وما تختزنه من توجهات مرنة، تعطي صاحبها: بعد النظر، وحسن الأداء، ووفرة الخيارات، وصواب الرؤيا، والسواء في السمت، والعدل والنزاهة عند الاقتدار.

أيها المطالبون بذلك: أما قمتم فانتصبتم للحق- إن كانت عندكم قامات تصمد له- ثم نظرتم إلى ما حولكم، فشهدتم شهادة بريئة، ترفع عن أبصاركم، نظرات عمى الألوان، وغشاوات العصبية الفئوية، أو الحزبية، أو الطائفية، أو الأحكام المسبقة المؤسسة فوق خصومات غير نزيهة، وغير بريئة، وغير مَسوسة بهوية الأمة وخصوصياتها، ثم نطقتم بما يشهد به الحق والواقع، وذلك ليفتح الناس أعينهم وأسماعهم، وليصدقوا أن هناك في عالمنا من يقولون عن قناعة صادقة: إنّ هذه الأوطان لنا جميعاً، لي أنا القومي، وله هو الإسلامي، ولذلك صاحب العرق أو الدين أو المذهب الآخر.. إنها لنا جميعاً، وإن التنوع في الخطاب، والتنوع في أساليب وبرامج خدمة هذه الأوطان، والتنوع في وجهات النظر والرأي، والتنوع في الآليات التي تحمل تلك «البرامج المتنوعة» إن هي إلا غنىً للأوطان، وإن هي إلا أبنية تأخذ بأيدي الأوطان، بعيداً عن الهزائم، عن الاقتتال، عن الخلاف، عن القهر، عن الفرقة، عن احتكار السلطات، عن تأليه الحكام، عن كل ما يوقف زحف التقدم. فعندما أقول ما عندي، وتقول ما عندك، ويقول ما عنده،

ونرضى جميعاً بالاحتكام إلى الشعب، ليقول كلمته التي نرضى نتيجتها برحابة صدر، وقبول لا يلغي حق الآخر بأن يعمل من جديد لتسويق خطابه، الذي لا يخالف المرجعية الواحدة التي تجمع ولا تفرق، عندما يتحقق ذلك، نكون قد وضعنا أقدامنا على أول الطريق السديد، ووضعنا أوطاننا في حومة المشاركة والحضور العصري الفعال. ويكون التنوع والتعدد محموداً وموزوناً، إذ تحكمه المرجعية المَوَحِدة، وذلك كما يجتمع الناس في كل الدول على مرجعية واحدة، ثم يتعددون في الإخراج، وإلا فإن التعدد الذي يريده البعض اختلافاً في المرجعيات والمبادئ، والأساسات، يصبح شرذمة وفرقة وضعفاً، ومن ثم تهالكاً وانهياراً للأمة ومواقفها، وهو ما يحدث الآن لأمتنا من خلال معاكسة الناموس الذي يحكم الأمم الصاعدة المنطلقة من مرجعية واحدة مُوحِدة.

أقول هذا وأمامي الكثير من عناصر الخطاب الإسلامي الإخواني، المنطلق من مصر ومن سورية وغيرهما، مكنونة داخل سطور المشاريع التي وضعها الإخوان لبلدانهم، وهي رؤية متكاملة عصرية المرجعية، إسلامية مهتدية بهدي الله، آخذةً بعين الاعتبار حاجات العصر والمصر. ولا ندري هل الذين يحاصروننا بإدمان القول، المنكِر لوجود خطاب سياسي إسلامي، يملكون مشروعاً شبيهاً بمشروعاتنا أو أقل أو أكثر..؟ وحتى لو كان عندهم ذلك، فما بالهم لا يرعوون عن الكيل بمكيالين أو أكثر، فيظلون يطالبوننا بالخطاب؟ وقد قلنا لهم هذا هو الخطاب، فلماذا لا يذهبون بمطالبهم هذه باتجاه مختطفي القرار في بلدانهم، وهم الذين يخبطون خبط عشواء، في ظلمات حوالك، حتى إذا ما أخرج العقل كل ملكاته باحثاً عن شيء من خطاب أو برنامج، ينقلب إلينا العقل خاسئاً وهو حسير، ليس بين يديه إلا خواء أجندة، لا ترى من كل ما حولها من شعبٍ ووطنٍ ودولةٍ، إلا كرسياً يخوِّل

مختطف القرار أن يدير البلد وكأنها مزرعة، كل ما فيها من ثروة وقدرات وأناس مكرسة لخدمته وإبلاغه هدفه وغايته، الُمتَمَثِّلينَ في بقاء ذلك الكرسي، فأين ذلك الخطاب والخواء العاجز الهابط الأناني القهري، من الخطاب الإسلامي الذي يرقى إلى مشاركة وطنية كاملة عصرية، تتسم بروح الهوية والأصالة، من غير عصبية ولا ضيق أفق، ولا استئثار ولا إقصاء، بل هو خطاب يتحرى في حراكه قول ربنا جل وعلا: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[سبأ: ٢٤]. فهذا هو خطابنا الذي اجتهدنا، بناءً على المرجعية الموحدة ليكوِّن الرؤية الصائبة من وجهة نظرنا، فلتطرحوا رؤيتكم، ولنرجع إلى الناس ليقولوا كلمتهم..

نعم.. إنه خطاب .. وخطاب...!

وإنه لخطاب إسلامي إخواني، رسمناه في مشاريعنا، خطاب داعٍ بقوة إلى الصلاح والإصلاح، وإليكم بعض ميزاته:

١- أنه يتمسك بهوية وأصول الأمة، لا يتجاوز نصها المقدس، ولا يتكبر على فهم خير الناس من الخلفاء الراشدين الهَادِينَ المهديين: «فإنه من يَعِش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهتدين، عضوا عليها بالنواجد...» جامع بيان العلم ٢/ ١٨٢ ورواه الترمذي وأبو داود وأحمد وابن ماجه، وهو من صحيح حديث الشاميين كما قال عنه أبو نعيم وأورده الدكتور عز الدين بليق في كتابه القيم «منهاج الصالحين» ص ٢٢.

٢- ومع ذلك فهو لا يغضُ الطرف عن العصر ومستلزماته، وحاجاته وتطوره، ولا يعدو عل الأولويات، فيقدم ما يمكن تأخيره، ويؤخر ما يجب تقديمه،

بل هو يعتمد على مرونة المرجعية، ليبني نصاً عصرياً موزوناً مؤسساً، غير مبهور بالبضاعة المزجاة، موفورة الدعاية والإعلان فوق الساحات.

٣- كما أنه لا تغفل عينه عن التدرج والمرحلية في عملية بناء وطني قويم، يفضي إلى تقدم الإنسان، وحفظ حقوقه وكرامته وحريته، ساعياً لإسعاده وتحقيق بناء نفسي وتعايشي للناس، يبث فيهم روح الطمأنينة والشراكة، وينفي عنهم روح التفرد والتسلط والإقصاء من أي نوع كان.

٤- وهو يبني كل ذلك فوق مؤسساتية ترعى المواطنة بكل معانيها ومراميها، وتلغي أية عوائق تحول دون تحقيق تلك المواطنة الكاملة، فلا أجهزة قمع، ولا فردية سلطوية، تقوم على توزيع ظالم للثروات، ورفع قامات منافقة وصوليّة، وتقديم الوظائف والمراكز على أساس الولاء، لا على أساس الكفاءات والقدرات وتكافؤ الفرص.

٥- وأخيراً وليس آخراً، فهو خطاب إيجابي وليس اعتذارياً، يحاول الهروب من أمام التحديات، إنه يواجه القضايا، فيعطيها أسماءها الحقيقية، فلا يسمي التنازل للأعداء اعتدالاً أو وسطية، ولا يقول عن التقاعس في معركة الوطن والوطنية سياسة وحسن أداء أو تفويت الفرصة على الأعداء، واختصاراً هو لا يجعل الواقع ابن لحظة الهوان التي نعيشها هذه الأيام حكماً يقوم تحركه وسياساته على هواها، بل ينظر إلى اللحظة والتاريخ والمستقبل بأفق واسع، يستطيع من خلاله اتخاذ الموقف المناسب المخلص، الذي يصنع في مجتمعاتنا نضارة الأمل، وخضرة النصر، والفعل المقتدر، والتقدم باتجاه موعود الله القائل: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧].

وليرجع من يريد إلى ذلك الخطاب في مظانه ومن هذه المظان: كتاب المشروع السياسي لسورية المستقبل، وهو من أدبيات الإخوان المسلمين في سورية، ولكن دون نظرات مسبقة معلبة، بل من خلال نظرة نزيهة تبتغي الحق أينما كان، ومن أيٍّ كان.. حاملاً مرجعية الأمة، مقدماً صوراً من التنفيذ مبدعة متنوعة خالصة لوجه الله ثم للوطن وللأمة.

٧- إعلام بواجهة واحدة.. لماذا..؟

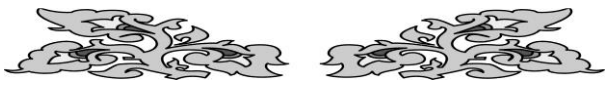

إذا أنت توجهت إلى غالب وسائل الإعلام المختلفة في دنيا العرب والمسلمين، وجدت عملة بوجه واحد في معظم ما تقرأ أو تسمع أو تشاهد.

إنها عملة تتجه إلى الناس بواجبات مترتبة للسلطة، يجب الإذعان لها ولما تريده أو تقننه أو توجه به السياسة والاجتماع والاقتصاد، أما ما يترتب للناس من حقوق ورعاية لأُمور حياتهم واحترام لرأيهم وكرامتهم وإشراك لهم في صناعة قرار بلادهم فلا وجود له في عملة إعلام الوجه الواحد، وإنك لتجد في الوقت نفسه منطقاً لا يكاد يُصدَق إذا عرضته على العقول السليمة أو وضعته على المحك داخل بنيات الفكر السديد القويم، هذا المنطق يدين كل احتجاج على السلوك الاذعاني المطلوب من قبل ذلك الإعلام الذي يتميز بالوجه الواحد أبداً، فتراه دائماً يعمل فوق صفيح الكلمة المحترقة بلهيب تبرير كل اعتداء على حقوق الإنسان العربي المسلم، ابتداءً من أبسط حق له وانتهاء بتفريغه من إنسانيته ومواطنته.

لقد خرجت مجموعة من جند أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على إجماع الصف المسلم، ووقفت تلك المجموعة في صف المعارضة؛ خارجة على الصف الإسلامي الذي تجمعه البيعة لأمير المؤمنين، فلم يقم علي رضي الله عنه بحملة إعلامية ظالمة، تصف هؤلاء بأقسى وأشد الصفات، أو تحرض الناس عليهم، ماداموا يكتفون بالرأي والكلمة وطرح رأيهم على الناس، من غير أن يحملوا السلاح من أجله.. وقد تجلى تصرف أمير المؤمنين هذا تجاه هذه الفئة المعارضة بقوله لهم: لكم علينا ثلاث:

ألا نمنعكم المساجد.

ولا نبدؤكم القتال. ولا نمنعكم الفئ ما كانت أيديكم معنا

إن هذه الكلمات من أمير المؤمنين كانت سلوكاً طبقة بحق معارضة في عهده، وهو سلوك يظل إلى يوم الناس هذا نموذجاً لا تلحقه أبعد الديمقراطيات التزاماً وتطبيقاً.. وإنها لكلمات يستطيع الإعلام الإسلامي أن يباهي بها، ويقف بها أمام

عتو ذلك الإعلام ذي عملة من النوع الذي لا ترى له إلا وجهاً واحداً مصطفاً إلى جانب السلطان.

لا نمنعكم المساجد.. إن حرية الرأي مصونة لكم، وحقوقكم الاجتماعية مرعية، وحراككم لا غبار عليه ما دام غير مسلح.

ولا نبدؤكم القتال.. حياتكم مصونة وكرامتكم محترمة. ودمكم حرام. ما اكتفيتم بسلم المعارضة.

ولا نمنعكم الفئ ما كانت أيديكم معنا.. حقوقكم المالية والمادية والاقتصادية مؤادة وحقوقكم داخل الصف المسلم مراعاة.

وإنها لحكمة عملية منفذة، طبقت في حياة الناس في حقبة زمنية كانت فيها كل حقوق الناس في كل المجتمعات الأخرى مهدورة عملياً ونظرياً وإعلامياً. فهي حكمة بالغة فوق ما بلغت ديمقراطية الغرب التي تتعامل مع الصديق فقط.

وهي تستطيع اليوم أن تثبت واقعيتها وصلاحيتها للحياة بجدارة فذة، لو أتيح لحامليها إعلام قادر على ترجمتها عصرياً في حياة الناس. لأنها تتعامل مع الصديق والعدو بنكهة العدل ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة: ٨].

وليست هذه هي اللقطة الوحيدة المصورة لكيفية التعامل مع الآخر عملياً وإعلامياً في المجتمع المسلم، فهذه لقطة أخرى أبلغ في التعبير عن الحقوق والواجبات بين طرفي المعادلة في أي وطن، ففي أحد اللقاءات بين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبين ولاته، سأل المغيرة بن شعبة سؤالاً أراد منه تعليم حكام المسلمين أن أي خلل في المعادلة لا بد أن يكون راجعاً إلى الطريقة التي

يستعملها الحاكم في تعامله مع الناس، وليس إلى خلل الناس بداية. وهذه رؤية نظرية وعملية سبقت عصر الديمقراطية الحديثة في تحليل العلاقة وتركيب المعادلة. قال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه للمغيرة بن شعبة: إذا أتيت بسارق ماذا تصنع معه؟ قال: أقطع يده يا أمير المؤمنين. قال: يا هذا إن قطعتَ يده قطعتُ يدك.. إن الله جعلنا على الناس لنسد جوعتهم ونوفر حِرْفَتَهم، ونستر عورتهم، واعلم أن الله خلق الأيدي لتعمل فإن لم تجد في الطاعة عملاً التمست في المعصية أعمالاً. وإنه لبلاغ إعلامي رائع وفائق يحتاج إلى إعلاميين إسلاميين يحملونه سلاحاً في وجه أصحاب الحملة الإعلامية ذات الوجه الواحد.. وكما قلنا فإن تاريخنا مذخور بالصورة الشورية الديمقراطية الأعلى، وواقع الحال منتظر للإعلاميين الإسلاميين والدعاة ليبرزوه فلماذا لا يفعلون؟.

وانظر ماذا فعل الغربيون في العراق وفي أفغانستان، ضد أناس أهينت كرامتهم، وقمعت حرياتهم، ونهبت ثروات بلادهم، وأغلقت عليهم أبواب الاحتجاج ونوافذ التغيير، ثم انظر إلى ما يفعله اليوم مغتصبون سارقون لحكم سورية ومصر، إذ يقابلون المظاهرة والاعتصام بالدبابة والرشاش والغازات والأسلحة المحرقة، ثم يسقطون بإعلامهم الدجال وبالناس الذين يلثمون نعالهم إجرامهم واقترافاتهم المشينة على الناس المسالمين، المكتفين بالكلمة وبالرد بالحدّ الأدنى، ثم ينابذوننا ويحاججوننا بديمقراطية تائهة مخاتلة، لا تشبه إلا وجوههم وسحناتهم المزيفة المتصنعة.

٨- هذه الحيادية المزعومة!

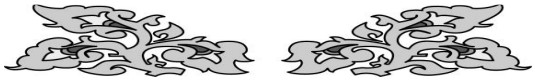

روى الأستاذ عباس السيسي عن الإمام حسن البنا رحمه الله الواقعة التالية:

تقدم الطالب حسن البنا إلى لجنة الامتحان الشفهي في مدرسة دار العلوم. سأله أحد الممتحنين: ماذا تحفظ من الشعر القديم؟ فأجاب: أحفظ المعلقات السبع. قال الأستاذ: أسمعني معلقة طرفة بن العبد.. فقرأها الطالب بفصاحة وثبات وهنا

سأله الأستاذ: أريدك أن تختار بيتاً أعجبك من هذه القصيدة.

فقرأ الطالب حسن البنا بعد أن أطرق هنيهة:

إذا القوم قـالوا مَـنْ فتـىً خِلـتُ أنـني عُنيـــتُ فلـــم أكســـل ولم أتبلـــد

فصاح الشيخ الممتحن الله.. الله.. إن هذا الفتى سيكون له شأن عظيم!، نعم.. وقد كان، إذ أصبح الإمام البنا بعد سنوات من ذلك الحدث روحاً تسري في هذه الأمة.. روحاً دعوية إعلامية حقة، تدفع باتجاه إنقاذ الأمة مما تلبس بها من الزيغ والانحراف والتشرذم والبعد عن مصدر الهداية الربانية. كما أصبح علماً إعلامياً يتبنى كل ما فيه مصلحة لهذه الأمة من حدث أو خبر أو تحليل أو بيان أو وسيلة أو توجه، مبادراً سباقاً نشطاً متحركاً فاعلاً يصنع الحدث ويعلنه ويحلله بالاتجاه الذي يصب في تيار الهدى والإنقاذ، وفي المسار الذي أراده الله للداعية والإعلامي المسلم؛ الذي نبت في هذه الأمة نباتاً حسناً نيراً.

فما بال أقوام من الإعلاميين في هذه الأمة ظهروا وتناموا وكبروا على قرع طبول دعاية «الحيادية»! التي تجعل من الرجل - الذي اختار لنفسه أن يركب ظهر الصحف أو أثير الإذاعة والتلفاز وغيرها من وسائل الإعلام- هيكلاً جالساً خلف مكتبه الفخم، يحلل الأحداث التي تلم بالأمة بحيادية قاتلة بليدة، وكأنه إعلامي أجنبي لا علاقة له بهذه الأمة من قريب أو بعيد، تتحكم فيه مفاتيح تلك الحيادية وكأنها قوانين منزلة، لا يمكن التنحي عن ساحتها أو حاكميتها، مع العلم أن التمسك بتلك الحيادية المتسترة خلف الصدق الزائف في النقل والتحليل قد يكون في الكثير من الأحيان تغطيه لخدمة مشبوهة مدفوعة الأجر..

وقد ظهر ذلك الاتجاه الإعلامي المتلبس بتلك الحيادية المقيتة أكثر ما ظهر في

صحف وإعلام المهجر، وركب تلك الموجة المفيدة للجيوب كثير ممن عمل في مهنة الخبر والتحليل والكتابة، فصدوا بذلك عن سبيل الصالح العام لهذه الأمة، وعملوا على تضليل القراء والمتابعين؛ ممن لا يملكون إلا بضاعة ضئيلة من الفكر وإمكانيات الوصول إلى الصدق الحقيقي. والعجيب في نهج هؤلاء أنهم ينطلقون فيما ينطلقون من الحيادية بعنجهية إدعاء الحرص على مصالح هذه الأمة وإبداء النصح لهذه الاتجاه أو ذاك؛ انطلاقاً من كون القوى العالمية التي تحاول فرض منهجها وسلوكها وهيمنتها على هذه الأمة أصبحت قدراً لا يمكن الإفلات منه، بل ينبغي الرضوخ له كي نضمن السلامة، وكأن السلامة الذليلة أصبحت هدفاً أو غاية نحرص عليها وعلى الحياة حالنا في ذلك كحال بني إسرائيل الذين وصفهم الله سبحانه في محكم كتابه العزيز: ﴿أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾[البقرة: ٩٦]. وما درى هؤلاء أن الموت في عزٍّ خير من حياة يتناوشها الذل والصغار من كل جانب..

إن النفوس الضعيفة، والقلوب الواجفة، والأفئدة المرتعشة، والنفوس ذات التطلعات الأنانية الشخصية، هي السائدة هذه الأيام في غالبية واجهات الإعلام، تستجدي أصحاب القرار وأسيادهم.. ليحظوا بمقام أو مكان أو مال، فيزفوا مقابل ذلك مديحاً للظلم وللظالم، وتأييداً للاستبداد والإقصاء، واعتلاءً لصهوات الكذب والتضليل، وقلب الحقائق وتزييف الصورة، وافتعال الأخبار والأحداث المناسبة لتبرئة سيرة الظلم.. وانظر أو استمع أو اقرأ اليوم مفتريات الفضائيات المتكاثرة في مصر، وشاهد من تستقبلهم بعض الفضائيات المدعية للحيادية على شاشاتها، ممن باعوا ضمائرهم ومصداقياتهم بل وإنسانيتهم على مذابح الكذب والافتراء والظن بأنهم سوف يحظون بمقامات عند الانقلابيين. وما علموا أنهم يظلمون أنفسهم عندما يضعونها في مهب ضحك الناس منهم.

٩- عبرة ديمقراطية تفيد
إعلام العصر

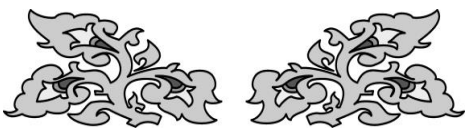

يوم بدر.. يوم عظيم لدعوة وليدة، فقد كان فرقاناً بين مرحلة ومرحلة من

حياة دعوة الإسلام بقيادة المصطفى ﷺ.

ومع ذلك فإن رسول الله ﷺ، وجد الظرف مناسباً والوقت ملائماً، ليرسخ حدث ذلك اليوم في الأذهان دروساً خالدة، لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، يستقي من لحظات ذلك الحدث الخالد عبراً وعظات لا تغيب أبداً.

فمع أن الطرفين متقابلان، والفئتين متجاورتان، (فئة الإيمان وفئة الشرك)، فإن الرسول العظيم ﷺ، وقف أمام الفئة المؤمنة وقال: «أشيروا عليّ أيها الناس»، طالباً من مجتمع الإيمان الذي سار معه من المدينة إلى بدر لملاقاة قافلة المشركين، أن يشيروا عليه بما يفعل في مواجهة جيش الشرك الذي حضر لحماية القافلة التي نجت.

الدرس النبوي البدري يقول: إن على القائد، إذا تغير هدف المعركة وظروفها.. أن يشاور شعبه، وجيشه وفئته، ويأخذ رأيهم في القضية برمتها.. وذلك ضناً بدماء الناس الذين أعطوه ثقتهم من أن تزج في أتون حرب قد لا يوافقون على الانخراط فيها بسبب ظروف موضوعية يرونها.

ولقد شرح الإعلام الإسلامي هذه الحادثة على مدى العصور بكل وسائله المتاحة كما بيّن ما تحمله من معانٍ شورية «ديمقراطية» رفيعة، يعجز عن حملها إعلام أعرق «ديمقراطيات» العصر، حيث يعتبر هذا الإعلام الجندي أو الفرد العادي من الشعب، (واقفاً في قضايا الحرب والسلام) في مربع عقد الإذعان، الذي يتهمه بالخيانة إذا حاول أن يشير برأي أو حكمة في أي معركة يثيرها الحاكم (داخلية كانت أم خارجية).

لقد حضرني هذا المثل الرابع من تطبيقات الشورى، التي حملها إلينا دين

الإسلام، ونشرها إعلامه الفذ بوسائله المتواضعة، بسبب التصريحات الإعلامية من المسؤولين الأتراك والسوريين التي تتطاير يمنة ويسرة، مبشرة بحرب مدمرة، بين شعبين مسلمين جارين.

وهاهي موجات الإعلامي العالمي تحمل نبذاً من الآراء والأفكار والمصطلحات المتنوعة حول هذا الموضوع الخطير، منها المحرض على الاقتتال بين الشعبين المسلمين، ومنها ما يعطي الحق للأتراك، ومنها ما يعطي الحق للسوريين، في صورة فسيفسائية بعيدة عن الفكرة الأساسية التي يجب أن تحكم هذه (التحريشات) بين الشعبين المسلمين، تلك الفكرة المتمثلة بالشورى وأخذ رأي الشعبين المسلمين فيما يديره حكامهم من معارك إعلامية ساخنة، قد تقدح في لحظة من اللحظات شرارة حرب مهلكة بين الأشقاء.

إن الشعب التركي لو استشير، والشعب السوري لو استشير، فلن يكون الجواب إلا جملة واحدة يقولها الشعبان: إننا مسلمون، والمسلم لا يرفع سلاحه في وجه المسلم.. ولتكن هذه الجملة واجهة الإعلام في كل وسائله المحلية والإقليمية والعالمية.. ولتردد أطراف الدنيا: أن عدو الأتراك المسلمين هم الصهاينة وأن عدو السوريين المسلمين هم الصهاينة، وإذن فلتنبذ كل الأحلاف التي تهادن هؤلاء الأعداء، أو تجمعهم في الموقف مع أي جهة إسلامية، ولتوجه كل البنادق إليهم، في معركة الخلاص من الجسم الغريب الذي حشر في قلب الأمة، ليكون عاملاً دائماً لزعزعة أمن العرب والمسلمين.

فهل يعي الإعلام العربي والإسلامي حقيقة ومغزى ما فعله رسول الأمة

العظيم محمد ﷺ في بدر، فينسج خيوط خطابه في هذه القضية وغيرها فوق تلك الأصول الخالدة، حاديهم في ذلك «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» رواه مسلم.

وأمر آخر تدلنا عليه حادثة بدر ومعركتها الكبرى، ويدلنا عليه ما فعله الرسول الكريم من توقف أمام أهله، عندما اختلفت أهداف المعركة، وتغيرت آليات المواجهة.. قائلاً لجمعه: أشيروا عليّ أيها الناس، وظلَّ يعيدها ويكررها حتى أدلى الجميع برأيهم، فلم يتأخر أحد منهم عن القول وإبداء الرأي. وهذا ما يعني لنا اليوم في هذا العصر؟ أن إسلامنا فيه من مذخور الشورى القديمة في هذا الدين لا تستوعبه ديمقراطية الغرب.. ففي حرب الغرب على العراق عام ٢٠٠٣.. شرعوا في أمريكا بمنع الصحافة والإعلام من إبداء الرأي في تلك الحرب، وشددوا العقوبة على ناقديها. ونفذوا أحكامهم بحق البعض الذي خالف التشريع الديكتاتوري، ومن بعد عزل أوباما رئيسة الصحافة في البيت الأبيض من كل مناصبها، وذلك من أجل رأي أدلت به في القضية الفلسطينية، حين قالت: إن حلّ القضية سهل؛ ليرجع كل يهودي جاء إلى فلسطين مهاجراً إلى بلده التي جاء منها.. فتعود فلسطين لأصحابها..

أرأيتم كيف يستشير القائد أهله في لحظة المواجهة، هل يبدأ المعركة أم يردّ بالانسحاب..؟ إن مخزوننا الإسلامي من الحرية والشورية والديمقراطية كبير، يجعلنا المعلمين للعالم في هذا الباب وغيره.. والأمثلة على هذه الشورية العالية الغالية كثيرة في سيرتنا الحميدة عل مدى العصور، وهي محتاجة إلى إعلام فالح

ليبرزها، فتعلوا في سماء العصر صورة زاهية تنير الطرق إلى شورية ديمقراطية نزيهة عادلة.

١٠- وإعلام يقف في وجه الصحوة بحماقة وغيظ

طبائع الأشياء والأحداث المعتمدة على سنن الفطرة الربانية التي فطر الله

عليها كل شيء، تترتب بحيث تكون تحركات هذا الكون وتغيراته بقدرٍ مقدورٍ في سنن الله، تأتي نتائجها ومترتباتها من حيث لا يعلم الناس – أكثر الناس- لأنهم «يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا».

ولذلك فإنك ترى هؤلاء الناس، (ونعني بهم كل من حاد عن طريق الهدي الرباني الذي نزل به الروح الأمين على قلب سيد الخلق محمد ﷺ) يعملون ليل نهار، من أجل إيقاف عملية التغيير، التي ظهرت بشائرها منذ أن سطع نجم صحوة الإسلام في هذا العصر، فبزغ حسن البنا – رحمه الله- شمساً ساطعة في ظلمة مكر الليل والنهار، التي حاول ويحاول هؤلاء الناس طمس أشعتها القاهرة بإذن ربها.

وها نحن اليوم أمام الذكرى الخامسة والثمانين لصرخة ذلك الرجل الفذ، في قومٍ استناموا لدغدغة المحتالين الماكرين، وها هي الذكرى تعبق ببوادر التغيير، تحيط بالإنسان العربي المسلم وغير المسلم من كل اتجاه. وها هي الأيدي الظالمة تحاول كبت تلك الصحوة مستخدمةً أعتى وأشد أنواع الإعلام المليء بالضلال والتضليل، محاولاً إدخال الريب والشك والتحوير على كل منظومة من نظم الإسلام المتين، غير معتبرين بمن سبقهم من الأمم التي انهارت نتيجة مخالفتها سنن الله ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الروم: ٤٢]، لقد دمر الله على الاتحاد السوفياتي بنيانه من القواعد، فتفتت وحدته، وتشرذمت قوته، وانهد كيانه، الذي كان يضاهي به قوى الغرب مجتمعة، ولقد كان ذلك بفضل الخطاب المعوج الذي حمله هذا الاتحاد إلى العالم على أجنحة كل الأثير الذي كان- يمتلكه. ولقد فرح الغرب متمثلاً بصورة خاصة في أمريكا، معتبراً انهيار الاتحاد السوفياتي إنجازاً غربياً، ونصراً أرضياً له، ونهاية للعالم في أحضان الرأسمالية الليبرالية الغربية. ودق ناقوس إعلامه الهائل مجلجلاً، ينادي ببروز الإسلام عدواً مزمناً للغرب تملأ جهات

الأرض الأربع لتقول: الإسلام هو العدو الأول، وكلمات الله يجب أن تقف عند حد، وقد خابوا وخاب فألهم؛ فهم الضعفاء الجبناء في مقابل كلمات الله التي لا تنفد: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[لقمان: ٢٧].

وها هو عالم الغرب اليوم يموج بشتى الفتن، التي تجعل الأرض تميد من تحته؛ فتارةً تواجهك فتنة الأخلاق التي ركنها الغرب في زاوية معتمة من حياته، وتارة تواجهك فتنة الفساد المالي، وتارةً تنتقل مع الأرض فتنة العُجب بالقوة المدمرة التي تقف بالمرصاد للغربيين قبل غيرهم، وإن فتنة الهيمنة والتسلط والصلف وحب الاستحواذ على كل شيء فوق هذه البسيطة بدون منازع، لتحمل في طياتها القول: إن سنن الله في هذا الخلق قادمة بإذن الله تعالى لتغير وتبدل، فوجه العدل الذي أقام الله عليه هذا الكون لا بد أنه الفائز في المآل، وهذا هو موعود الله الذي لا يتخلف.

وتأتي العنصرية والكبر والشعور بالتفوق من خلال العلم والتكنولوجيا صرخة إعلامية غربية، تقذف بالباطل في كل اتجاه، وهذا ما يوحي بأن التغيير قادم لا محالة إن شاء الله. (اشتدي أزمة تنفرجي).

ولكن يبقى على الإعلام الإسلامي، أن يمسك بقذيفة الحق المستلهمة لكتاب الله وسننه القويم إمساكاً صائباً، ويصوب نحو الهدف بشكل مباشر مستخدماً الوسائل الكبرى المتاحة وهذا ما يستدعي أن يستنفر كل أثرياء المسلمين، ونكرر ولا نمل من التكرار- كل أثرياء المسلمين- لاستثمار مالهم وثرواتهم في وسائل الإعلام الكبرى؛ من الفضائيات، إلى الصحافة العالمية، وذلك من أجل تسديد قذيفة الحق الربانية تسديداً صائباً إلى قلب الباطل وكبد كيده (فما لا يتم الواجب

إلا به فهو واجب) وهذا هو العلاج الناجع في آخر المطاف: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨].

فيختفي بذلك الكيد والمكر الكارهان لنظافة المجتمعات ولعودتها إلى ربها.. فهما كيد ومكر مبنيان على الحماقة والصفاقة والغرور والاغترار بالقوة.. غير ان (سوس الخشب منه وفيه).. يأكل الحسد الذي أوجده الروح التي سكنته، فقادته إلى المصير الأليم. وبداية هذا المصير تجلت في هذه البداية من الإفلاس المالي الاقتصادي- ولا شماته- الذي بدأ يذرُّ رماده في دول تلك المجتمعات التي يقودها ذلك الإعلام المتواطيء.. وإن الله لا يصلح عمل المفسدين.!

١١- إعلام عبثي

وتشتد قناعتي بعبثية وجنون ذلك المساء الباريسي الأزرق الرطب، وفي العروق التي تحمل دمي، تعلن الذرات، أن الجنون (موضة) العصر!.. إنه فرح.. نعم فرح، ولكنه فرح ممزوج بالجنون، ذلك الذي أعلنته باريس، المتبرجة للتقليعات

الغربية من كل لون.

وهي في تلك الليلة الباريسية بلون كرة القدم، تدوس فوق حاجات الملايين ضاحكة لاهية لا مبالية بمشردي شوارع الغرب فضلاً عن ملايين الملايين من بشر الضفاف الأخرى.

إن الطقوس المعلنة من إعلام مكثف عظيم الانتشار، لم تكن مساء يوم العاشر من حزيران (يونيو) ١٩٩٨هـ إلا دفقة من جنون وثني، يشوه ملامح الإنسان الأوروبي، الذي لم يكن بعيداً في ذلك المساء عن مرابع الطقوس أكثر من أمتار، يجتر جوعه وفقره وتشرده، الملايين من بني البشر الأوروبيين- كما ذكرت إحصائية رسمية أذاعتها نوافذ الفضائيات في نفس يوم الاحتفال الباريسي بالكرة العالمية والأقدام الذهبية كما يحلو لبعض الإعلاميات أن تسميها- ملايين من هؤلاء كانت تحتويهم أرصفة أوروبا متشردين فقراء مرضى جوعى وعراة... هذا فضلاً عن المليار ونصف المليار من البشر الذين ينتشرون فوق الضفاف الأخرى من العالم يبحثون عن اللقمة فلا يجدونها.

لكن كثافة الإعلام العبثي- في كل مرة- يحاول أن يرغي ويزبد، ويغطي الساحة بذلك التبرج، ليتستر على عورات حضارة الصرعات والجنون.

لا يهمني في هذه اللحظات النشاز دفقات الإعلام الغربية اللاهية بعذابات المبتلين بتخمة العصر، التي تحاول دون جدوى الإمساك بتلابيب الشمس، كي لا تغيب.. إن ما يهمني من الدفقة الإعلامية التي تستولي على هذه اللحظات، تلك الترانيم التي يطلقها إعلامنا العربي، وما أظنك أخي القارئ إلا سمعت شيئاً منها، وإنه لأمر عجيب أن تخرج تلك الكلمات الراعبة من فم رجل مسلم، في وصف ذلك الركب من العمالقة الأصنام، الذين يحفهم السدنة والراقصون بطقوسهم على

هيئة حشرات أو حيوانات. ولا بأس أن أنقل بعض تلك الكلمات.

(إنه منظر مهيب!!..).. (هذا الركب ينطلق من باريس عاصمة العالم، حاضرة الدنيا!).. (وها هي تلتقي الحضارات وتتمازج في ظل كرة القدم!).

إنه إعلام عربي مهزوم فعلاً، مبهور فعلاً، يقود الناس إلى الهزيمة فعلاً.. ونحو الانحدار، وإلى الانبهار بوثنيات حضارة أقل ما يقال عنها: إنها سرقت من العالم الفرحة والمساواة والإنسانية، عندما جعلت هذا الإنسان يعيش في ظل موازين مختلة، ومكاييل متضادة وقيم منكسة للإنسان..

كم تكلفت هذه الحفلة المسائية الباريسية؟... وإن كان كل عملاق من الأصنام التي تصدرت ذلك الاحتفال قد كلف عشرة ملايين دولار، فكم من العشرات والمئات قد أهدرت وكان الناس يحتاجون أقل من قليلها؟ لا نقول ناس الضفاف الأخرى، بل ناس باريس ونيويورك و.. و..، الذين باتوا تلك الليلة جوعى منسيين، في ظل حضارة تهوى القوة والضخامة والاستعراض في كل شيء، وتبث من خلال إعلام كثيف عبثي موجات من المغالطات والقيم الوثنية، لتقوم وسائل الإعلام الأخرى في العالم بدور رجع الصدى لذلك العبث.. إنه الباطل ينتفش في عرسه الكروي، ليروي للعالم قصة إعلام، يحاول طمس أصوات البساتين الممزوجة برائحة المساجد في الغسق، عندما ينادي بـ (الله أكبر)، فتتفتح عيون، وتهفو قلوب، وتذوب أفئدة في النداء، فتهب ملبية بأصوات عذبة رقراقة لا تزال تتردد في أرجاء هذا العالم، تحملها أشعة القمر ندية سامقة سماوية منطلقة، لتمتلك نواصى الكلم في يوم هو آت لا محالة بإذن الله.

ليمحو عار العصر الذي يبتعد بوسائله وآلياته عن الهدى بفعل استعراض يومي لمصطلحات ومفاهيم وزينة يبثها إعلام، متواطئ وإعلام هو صدى صوت

ذلك المتواطئ، ولكن الحق قديم قدم هذه الدنيا المخلوقة، يحدوها الموعود الرسالي المهتدي بهدي الرحمن الرحيم. إن الحق الرباني عائد بقوة، بعز عزيز أو ذل ذليل ولا يمكن أن يكون المؤمنون منتظرين على الأرصفة، بل هم في قلب معركة إعادة الحق. تحملها زنود سمراء، توجهها قلوب حادبة على وجع الإنسان، وعقول متوجهة إلى إنقاذ الحياة من وحل الوثنيات وحضارة الإسراف في استعراض القوة المؤسسة على دروب الجدود من الرومان، الذين صبغوا الحياة قروناً بروح اغتصاب الآخر بلا هداية ولا عناية بأحلام البشر. ولسوف تبلغ المعركة مآلها، ويبلغ بها الهدى ما بلغ الليل والنهار بعز عزيز أو ذل ذليل. وإعلام المعركة في مقدمة الواصلين إلى الأرض الطيبة. وهذا هو الردُّ على السؤال: لماذا الإعلام..؟.

لماذا الإعلام

هذا الكتاب

إنها حضارة تهوى القوة والضخامة، كيف الأجداد الرومان، تستعرض وثنيتها وقيم تلك الوثنية من خلال إعلام غربي كثيف عبثي، يبث نقثاته ليل نهار.. كي يحظى بالهيمنة على الضفاف الأخرى من العالم، فيطمس بذلك عبق الحدائق الممزوجة بعطر المساجد «في الغسق، عندما يُنادى بـ «الله أكبر» فتتفتح عيون، وتهفو قلوب، وتذوب أفئدة في ممزوج النداء، لتهبّ أرواح وأجساد ملبية النداء منطلقة نحو نهارات، تمتلك فيها نواصي الكلم في يومٍ آت لا محالة بإذن الله».

وذلك ليعيد العصر الوثني إلى نور الهداية الربانية بعيداً عن الاستعراض المتبرج للضياع.. «فالحق قديم قدم هذه الدنيا المخلوقة، يحدوها الموعود الرسالي المهتدي بهدي الرحمن الرحيم. وهو عائد بقوة بعز عزيز أو ذل ذليل، من غير أن يكون المؤمنون منتظرين على الأرصفة إنهم في قلب معركة إعادة الحق.

وهذا الكتاب بيان للسبيل القويم إلى ذلك.. ولم يزيد عليه فله المزيد من الأجر..

محمد السيد